المجاز اللغوى عند المبرد فى كتابه «الكامل»

د. مصطفى السيد مصطفى جبر

أستاذ مساعد البلاغة والنقد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بالقاهرة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصبحه أجمعين،وبعد ..

فهذا البحث من البحوث التى أكتبها عن البلاغة العربية فى كتاب « الكامل» لأبى العباس . محمد بن يزيد المبرد ، ولما لهذا الكتاب من أهمية فى البلاغة العربية فقد تابعت فيه البحث .

وسيرى القارئ الكريم مدى ما حفل كتاب« الكامل» من جهد مؤلفه فى التحليل البلاغى لفيض من روائع تراثنا الأدبى، وما كان له بعد من أثر فى وضع كثير من مصطلحات:«المجاز اللغوى» وإثراء مباحثه.

وللمجاز بعامة أهمية فى اتساع اللغة،وحيويتها،وإمدادها بالمعانى الملائمة لأحوال الناس والمعبرة عما يريدون فى شتى ميادين الفكر والثقافة والنشاط الإنساني.

وهذا البحث يتكون من:مقدمة،وتمهيد،وفصلين،وخاتمة.

ففى التمهيد:أشرت إلى ما كتب عن«المجازاللغوى»عند كل من:الفراء،وأبى عبيدة،والجاحظ، وابن قتيبة.

والفصل الأول:«المجازاللغوى عند المبرد.دراسةوتحليل»ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول:المجاز المرسل. المبحث الثاني:الاستعارة.

والفصل الثانى:«المبرد بين التأثروالتأثير فى المجاز اللغوى» وفيه مبحثان:

الأول: تأثر المبرد بغيره من العلماء.

الثانى: تأثير المبرد بغيره من العلماء.

ثم خاتمة البحث: وفيها عرضت لأبرز ما جاء فى البحث مع الإشارة إلى جهود المبرد فى المجاز اللغوى.

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل .

تمهيد

الكلمة و الكلام كل منهما إما حقيقة،أو مجاز.فالحقيقة اللغوية هى اللفظ المستعمل فيما وضع له فى اصطلاح به التخاطب[1]،وأما المجازاللغوى[2]هو اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له فى اصطلاح به التخاطب على وجه يصح مع قرينة عدم إرادته[3] مثل الأسد فى الرجل الشجاع

فالمجاز اللغوى يعتمد على نقل الكلمة،أو الكلام من المعنى الحقيقي إلى المجازى،ولابد لهذا النقل من علاقة بين المعنيين تصحح النقل،وقرينة المجاز صارفة عن المعنى الحقيقى.وسمى هذا النوع من المجازلغويا،لأن المتكلم نقل اللفظ من معناه اللغوى إلى معنى آخر لغرض من الأغراض.

---

(١) انظر : المطول : ٣٤٨.

(٢)المجاز مفْعل من جاز الشئ يجوزُه إذا تعداه،وإذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وصف بأنه مجاز،علي معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلى،أو جاز هو مكانه الذى وضع فيه أولا«أسرار البلاغة:٢/ ٢٦٥،انظر المطول:٣٥٢.

والمجاز نوعان:عقلى يتعلق بالإسناد،ويسمى أيضا مجازاً حكميا، لأن الإسناد حكمٌ سواء كان بالإثبات أو بالنفي،وبينه عبدالقاهر(ت٤٧١هـ) بأن التجوز يكون فى حكم يُجرى على الكلمة فقط،وتكون الكلمة متروكة على ظاهرها، ويكون معناها مقصوداً في نفسه،ومراداً من غير تورية ولا تعريضٍ، ومن أمثلته قولهم:نهارك صائمٌ فى الإثبات،وقوله تعالى: ﴿فما ربحتْ تجارتهم﴾.(سورة البقرة:١٦)فى النفى ـ دلائل الإعجاز:٢٩٣ .

وعرفه فى أسرار البلاغة : ٢/ ٢٥٧ بأنه :«كلُّ جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضوعه فى العقل لضرب من التأول»

وهذا النوع من المجاز ليس مجال بحثى فقد درسته فى كتابى :

البلاغة عند المبرد فى الكامل فى اللغة والأدب: ٨٢ الجزء الأول « علم المعانى ».

(٣) انظر المطول : ٣٥٣ ، والإيضاح : ٣/ ٨٧.

والمجاز ينقسم إلى : مجاز مرسل ، واستعارة. ومدار التفرقة بينهما نوع العلاقة؛ فإن كانت المشابهة بين المعنين : الحقيقى، والمجازى كان استعارة ، وإلا فهو المجاز المرسل.

وقد عرف العرب المجاز اللغوى أساليب فنية تجرى على ألسنتهم، وتتردد فى كلامهم ، فتعبر عما تكنه أفئدتهم من بديع المعنى، وروائع التصوير ؛ فاللغة لديهم حيّة نابضة، والسليقة صافية مواتية، وخبرتهم بالحياة متوافرة، ولذا كثر فى كلامهم المجاز حيث ألفوه فنا أدبيا قبل أن توضع له القواعد، وتدوّن المصطلحات والتقسيمات.

وقد أثنى العلماء على المجاز، وبخاصة الاستعارة منه ، فابن رشيق (ت ٤٥٦هـ) يقول: « العرب كثيرا ما تستعمل المجاز ، وتعده من مفاخر كلا مها ، فإنه دليل الفصاحة ، ورأس البلاغة ، وبه بانت لغتها من سائر اللغات»[(١)].

ويقول عن الاستعارة « الاستعارة أفضل المجاز ، وأول البديع ، وليس فى حِلَى الشعر أعجب منها،وهى من محاسن الكلام إذا وقعت موقها، ونزلت موضعها» [(٢)]ثم يروى إعجاب أبى عمْرو بن العلاء (ت١٥٤ هـ) بها فى قول ذى الرُّمَّةَ [(٣)].

أقامتْ بِهِ حتى ذَوى العُودُ والتَوى   وساقَ الثُّريَّا فى مُلاءَتِهِ الفجرُ

---

(١) العمدة : ١/ ٢٦٥.

(٢) المرجع السابق ١/ ٢٦٨.

(٣) ديوانه: ١/ ٥٦١ وهو من قصيدته التى مطلعها:

ألا يا اسْلمى يادارمَىّ على البِلَى   ولا زال مُنهلاً بجرعائِك القطرُ

وأنه كان «لايرى أن لأحد مثل هذه العبارة ويقول: ألا ترى كيف صيَّر له مُلاءة ولا مُلاءة له، وإنما استعار له هذه اللفظة »؟[1].

وأشاد الإمام عبد القاهر (٤٧١هـ) بفضلها، ومما قاله: «وهى أمدُّ ميدانا، وأشدُّ افتناناً ، وأكثر جريانا، وأعجب حُسنا وإحسانا، وأوسع سعة،وأبعد غوراً، وأذهب نجداً فى الصناعة وغوراً من أن تجمع شعْبها وشعوبها، وتحصر فنونها وضرُوبها ...

ومن الفضيلة الجامعة فيها أنها تبرر هذا البيان أبداً فى صورة مستجدة تزيده قدره نبلا، وتوجب له بعد الفضل فضلا. وإنك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت فيها فوائد حتى تراها مكررة فى مواضع، ولها فى كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد، وشرف منفرد، وفضيلة مرموقة، وخلابة.

ومن خصائصها التى تذكر بها وهى عنوان مناقبها : أنها تعطيك الكثير من المعانى باليسير من اللفظ حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدُّرر،وتجنى من الغصن الواحد أنواعًا من الثمر..»[2]إلخ.

وإذا بحثنا عن نشأة المجاز اللُّغوى ألفيناه بدأ إشارات غير محددة المعالم،ولكن مع مر الزمن، وتتابع البحث تحددت معالمه ، ثم استوى عوده واكتمل على يد الإمام عبد القاهر الجرجانى ومن أتى بعده.

ـ فأبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ) ألَّف « مجاز القرآن»

---

(١) العمدة : ١/ ٢٦٩

(٢) أسرار البلاغة :١/ ١٣٦

وألمح فيه إلى المجاز المرسل عند قوله تعالى :﴿ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ ﴾ [1] حيث قال: «أى ثناء حسنًا فى الآخرين»[2]،وقوله سبحانه :﴿مَّا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾[3]قال:«مجازه: إلا هو فى قبضته وملكه وسلطانه»[4]. فإطلاق اللسان على الثناء الحسن علاقته: الآلية، وإطلاق الناصية على الدابة علاقته : الجزئية .

وفى قوله تعالى:﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [5]يقول: «ومجاز الآية مجاز التمثيل؛ لأن ما بنوه على التقوى أثبت أساسا من البناء الذى بنوه على الكفر والنفاق؛ فهو على شفا جُرفٍ ، وهو ما يجرف من سيول الأودية؛ فلا يثبت البناء عليه» [6].

---

(١) سورة الشعراء . الآية : ٨٤.
(٢) مجاز القرآن : ٢/ ٨٧.
(٣) سورة هود : الآية : ٥٦.
(٤) مجاز القرآن : ١/ ٢٩٠.
(٥) سورة التوبة : الآية : ١٠٩.
(٦) مجاز القرآن: ١/ ٢٦٩.

يقول الزمخشرى (ت ٥٢٨ هـ) المعنى : أفمن أسس بنيانه على قاعدة محكمة، وهى الحق الذى هو تقوى الله ورضوانه « خير أم من أسسه» على قاعدة هى أضعف القواعد وأرخاها وأملكها وهو الباطل والنفاق الذى مثله مثل «شفَا جُرف هار» فى قلة الثبات والاستمساك.
وضَع شفا الجرف فى مقابلة التقوى، لأنه جعله مجازًا عما ينافى التقوى» . الكشاف : ٢/ ٢١٥.
ويقول القاضى البيضاوى (ت ٦٩١ هـ) «وإنما وضع شفا الجرف ، وهو ما جرفه الوادى الهائر فى مقابلة التقوى تمثيلاً لما بنوا عليه أمر دينهم فى البطلان ، وسرعة الانطماس . ثم رشحه بانهياره به فى النار». تفسير البيضاوى . هامش « حاشية الشهاب الخفاجى » : ٤/ ٣٦٦.

وورد ذكر الاستعارة عند أبى عبيدة عندما علق على قول الفرزدق لجرير:

لاقَوْمَ أكثر من تميمٍ إذاً غَدتْ عُوذُ النِّساءِ يُسقْن كالآجال

فقال:« قوله: عوذ النساء» [1]هنَّ اللاتى معهن أولادهن. والأصل فى عوذ فى الإبل التى معها أولادها ، فنقلته العرب إلى النساء . وهذا من المستعار، وقد تفعل العرب ذلك. قال: والآجال [2]: الفِرَق من البقر والظِّباء ، واحدها إجل» .

فقد بين أبو عبيدة بعض أمثلة المجاز المرسل ،وأشار إلى الاستعارة ، وأنها تعتمد على النقل من معنى إلى آخر مشابه.

ـ وأما أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٢٥ هـ) فقد أطلق على الاستعارة اسم «البدل» وورد هذا فى ردِّه على من أنكر أن المشى لا يكون إلا بالأرجل وذلك فى قوله تعالى :﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ﴾ [3]ومما قاله:

«وأما قولكم : أن المشى لا يكون إلا بالأرجل فينبغى أيضا أن تقولوا ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾[4]إن ذلك خطأ ؛ لأن السْعى لايكون إلا بالأرجل وفى هذا الذى جهلتموه ضروب من الجواب. أما وجه منه فهو

(١) «العَوذُ: الحديثات النِّتاج من الظِّباء والإبل والخيل، واحدتها: عائذ مثل حائل وحُول ... وفى حديث الحديبية : ومعهم العوذُ المطافيل. يريد : النساء والصبيان». لسان العرب(عوذ).

(٢) نقائض جرير والفرزدق: ١/ ٢٧٥.

(٣) سورة النورة : الآية :٤٥.

(٤)قال الله تعالى عن موسى وعصاه﴿ فألقاها فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾سورة طه.الآية/ ٢٠

قول القائل وقول الشاعر: ما هو إلا حَّية، وكأن مشيته مشية حية. يصفون ذلك، ويذكرون عنده الأيِّم والحيات، وذكور الحيَّات...ولو كانوا لايسمون انسيابها، وأنسياحها مشيا وسعيا لكان ذلك مما لا يجوز على التشبيه، والبدل، وأن قام الشئ مقام الشئ، أو مقام صاحبه؛ فمن عادة العرب أن تشبه في حالات كثيرة»[1] فقد ردد الجاحظ المشى بين التشبيه،والبدل، أى الاستعارة، وأن كان هذا يدخل فيه المجاز المرسل أيضا.

وعرف الجاحظ الاستعارة عند بيانه لقول الشاعر:

يادارُ قد غيَّرها بَلاها ... كأنَّما بقلمٍ مَحاهَا

أخربها عُمرانُ من بنَاهَا ... وكَرُّ ممُسَاهَا على مغْناهَا

وطِفقَت سحابةٌ تغشَاهاَ ... تبكى على عِراصهَا عينَاهاَ

قال:« طفقت: يعنى ظلت . تبكى على عراصها عيناها .عيناها هنا: السحاب، وجعل المطر بكاء على طريق الاستعارة، وتسمية الشئ باسم غيره إذا قام مقامه.

فالاستعارة عند الجاحظ :«تسمية الشئ باسم غيره إذا قام مقامه»[٢] وتحليل الجاحظ لهذه الاستعارة وما ماثلها «هى التى جعلت البلاغيين فيما بعد ينظمون مثل هذه الاستعارة فى باب الاستعارة التصريحية التبعية إذا أجروا الاستعارة فى القرينة .أى فى مثل «تبكى» فى البيت، وقد يجعلونها فى باب الاستعارة المكنية إذا أجروا الاستعارة فى السحابة»[٣] .

---

(١) الحيوان ٤/ ٧١.

(٢) البيان والتبيين : ١/ ١٥٢ ، ١٥٣ . باختصار .

(٣) انظر : المطول : ٣٦٥.

وأشار الجاحظ فى تحليله للبيت الثانى إلى ما عرف بعد باسم الاستعارة العنادية، وهى التى استعملت فى ضد المعنى أو نقيضه بتنزيل التضاد ، أو التناقض منزلة التناسب لغرض بواسطة تهكم، أو تمليح . قال: « وأصل العمران مأخوذ من العمر وهو البقاء ، فإذا بقى الرجل فى داره فقد عمَّرها، فيقول: إن مدة بقائه فيها أبلت منها ؛ لأن الأيَّام مؤثرة فى الأشياء بالنقص والبِلى، فلما بقى الخراب فيها، وقام مقام العمران فى غيرها سمى بالعمران [1].

ويؤكد ـ الجاحظ ـ معنى هذه الاستعارة بالمثال الواضح من القرآن الكريم، وقد أخذه عنه البلاغيون ، وهو قول الله ـ عز وجل ـ :﴿هَـٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾[2] ويعلق على الآية الكريمة بقوله:« والعذاب لايكون نزلا، ولكن لما وضع العذاب لهم فى موضع النعيم لغيرهم سمى باسمه» [3].

وكان للاستعارة الأصلية نصيب فى حديثه عن البيان ومثاله استعارة «أخ» من الإنسان للقصيدة المماثلة . فقد أورد قول الأعش:

أيا مِسْمع أقصِرْ فإن قصيدة متى تأتكمْ تلحقْ بها أخواتُها

وأيده بقوله تعالى :﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلاَّ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ﴾ [4].

ويقول الجاحظ:« إن المنسم للبعير، ولكن استعاروه لغيره »[5].

---

(١) البلاغة تطور وتاريخ : ٥٤. (٢) سورة الواقعة . الآية : ٥٦.
(٣) البيان والتبيين : ١/ ١٥٣ ، والمقاييس البلاغية عند الجاحظ فى البيان والتبيين :٢٧٤.
(٤) سورة الزخرف . الاية : ٤٨ ،واليان والتبيين :١/ ٢٨٨.
(٥) الحيوان : ٤/ ١١٢.

وفى حديث الجاحظ عن البيان فإنه يبين الاستعارة على طريقة المتأخرين فى إجرائها حيث يقول:

« شبهوا الحقد الكائن فى القلب الذى يسرى ضرره، وتدب عقاربه بالضَّب؛ فسموا ذلك الحقد ضبًّا » [1] ولكن المتأخرين ضموا إلى هذا تناسى التشبيه ، وادعاء أن المشبه من جنس المشبه به ، ثم استعارة المشبه به للمشبه لغرض مَّا.

فقد تقدم الجاحظ بالمجاز اللغوى ؛ فعرف الاستعارة ، وإن كان تعريفه لها غير مانع لأمثلة المجاز المرسل ، كما بين أمثلة كثيرة هى من الاستعارة التصريحية الأصلية والتبعية، وأشار إلى علاقة الاستعارة بالتشبيه وكذلك إلى طريقة إجرائها .

ـ وألف ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) « تأويل مشكل القرآن » ليبين ما أشكل على المفسرين وليرد على أهل البدع والضلال، وعلى الجهلة الذين يقولون فى كتاب الله بغير علم [2].وقد أورد فى كتابه مباحث ومسائل بيانيه كثيرة فى مقدمتها: « باب القول فى المجاز» و«باب الاستعارة».

وابن قتيبة فى الباب الأول منهما يذكر أن عدم فهم المجاز سبب غلط كثير من الناس . فالقرآن حافل به، وأن الطعن على القرآن بالمجاز من أشنع الجهالات [3]، وبين وجه المجاز فيها كقوله

---

(١) المرجع السابق : ٦/ ٢٠.
(٢) تأويل مشكل القرآن : ٢٤ وما بعدها.
(٣) المرجع السابق : ١٠٣ ، ١٣٢.

تعالى:﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلانِ﴾ [1]قال: «والله ـ تبارك وتعالى ـ لا يشغله شأن عن شأن، ومجازه: سنقصد لكم بعد طول الترك والإهمال». فالمجاز فى الفعل «سنفرغ».

وبين الاختلاف فى تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾[2] فمن العلماء من فسره بالحقيقة،ومنهم من فسره على المجاز. وبين المؤلف وجهه نظر كل منهما .ولكن من أمثلة هذا الباب قوله تعالى:﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾[3] فقد فسَّره بقوله:«أى:كأمهاتهم فى الحرمة»، وواضح أن هذا من التشبيه المضمر الأداة .

وقال فى آخر باب المجاز:[4]« ونبدأ بباب الاستعارة ؛ لأن أكثر المجاز يقع فيها » فقد بين صلة الاستعارة بالمجاز وأنه أعم منها، وهو بهذايشير إلى نوع آخر قسيم للاستعارة فى المجاز.

وأتبع ابن قتيبة هذا بقوله :« باب الاستعارة » وبدأ بتعريفها بقوله: «فالعرب تسعير الكلمة ؛ فتضعها مكان الكلمة إذا كان المسمَّى بها بسبب من الأخرى، أو مجاوراً لها، أو مشاكلاً ؛ فيقولون للنبات: نوء؛ لأنه يكون عن النوء عندهم . قال رؤبة بن العجاج:

«وجفَّ أنواءُ السَّحابِ المرتَزِق» أى : جفَّ البقل .

ويقولون للمطر: سماء ، لأنه من السماء ينزل؛ فيقال : ما زلنا نطأ السماء حتى أتيناكم . قال الشاعر:

---

(١) سورة الرحمن . الآية: ٣١ ، ومجاز القرآن :١٠٥.
(٢) سورة فصلت. الآية : ١١ وتأويل مشكل القرآن : ١٣٢. وقد بينت هذا ص:١٣
(٣) سورة الأحزاب . الآية : ٦ ، وتأويل مشكل القرآن : ١٠٤.
(٤) تأويل مشكل القرآن : ١٣٢.

إذا سقطَ السماءُ بأرضِ قومٍ رعيناهُ وإن كانوا غِضَابا [1]

ويقولون : ضحكت الأرض إذا انبتت ؛ لأنها تبدى عن حسن النبات، وتتفق عن الزهر كما يفترُّ الضاحك عن الثغر»[2].

فالنوء سبب المطر، والسماء مكانه وهما مجاز مرسل. وأما ضحك الأرض فهو استعارة مكنية على تشبيه الأرض فى هذه الحالة بالإنسان ثم حذفه بعد استعارته والرمز إليه بشئ من لوازمه، وهو الضاحك ثم يشتق منه «ضحك» ويجوز أن تكون تبعية فى لفظ «ضحك».

«والعلاقة بين«ضحكت وأنبتت» هى علاقة مشاكلة[3]، فالأرض تبدى عن حسن النبات، وتتفق عن الزهر كما يفترُّ الضاحك عن الثغر .. فمجاز القرآن كله صدق وهو مردود إلى اللغة . والقرآن نزل عربيا . أى على سنن هذه اللغة، ومن ثم فإن ما فيه من مجاز ليس مجازاً بمعنى أنه مقابل الحقيقة، أو يعنى الكذب،ولكن بمعنى : أنه عربى »[4].

وبين ابن قتيبة طرفى الاستعارة، والجامع بينهما والنقل فيها عند قوله تعالى : ﴿والمرسلات عرفا﴾[5].حيث قال: « يعنى الملائكة، يريد أنها متتابعة، يتلوبعضها بعضا بما تُرسل به من أمور الله ـ عز وجل ـ وأصل هذا من عرف الفرس ، لأنه سطر مستو بعضه فى إثر بعض ؛

(١) هو لمعاوية بن مالك بن جعفر . معود الحكماء . انظر . المفضليات : ٣٥٩ ، والاقتضاب : ٣٢٠ ،والبيت من شواهد الاستخدام . الإيضاح :٤/ ٣٤ .
(٢) تأويل مشكل القرآن : ١٣٣ .
(٣) أى :مشابهة . فالاستعارة تبنى عليها.
(٤) الاستعارة المرفوضة : ٤٠ .
(٥) سورة المرسلات . الآية : ١.

فاستعير للقوم يبتبع بعضهم بعضا »[1].

وذكر ابن قتيبة أن الاستعارة ليست كذبًا ، وأشار إلى ما عرف بعد بالقرينة الحالية حيث قال:«وليست بكذب؛ لأنهم جميعا متواطئون عليه، والسامع له يعرف مذهب القائل فيه»[2] ، كما أشار إلى أهم أغراض الاستعارة، وهو المبالغة عند قوله تعالى :﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾[3] .[4]وابن قتيبة ـ فيما قرأت ـ أول من عقد بابا للمجاز ،وبابا آخر للاستعارة ، كما أنه بين العلاقة بينهما، وأشار إلى قرينة الاستعارة ، وكان تعريفه لها أوسع من تعريف الجاحظ، وإن كان غير مانع من أمثلة المجاز ، فقدكان من بين أمثلة الاستعارة أمثلة للتشبيه البليغ.

وإلى هنا ألفينا المجاز اللغوى لم تتحدد معالمه الدقيقة، فلم يوضح له التعريف الجامع المانع، ولم يقسم إلى :المجاز المرسل، والاستعارة ،أو يبين نوعها، غير أن جهد هؤلاء العلماء كان له أثره البعيد فى التقدم بهذا اللون البلاغى عند المبرد، ومن جاء بعدها ، فيقويها ويدعمها لتؤدى دورها فى صرح العلم والمعرفة.

وننتقل إلى «محمد بن يزيد المبرد » لنرى جهوده فى « المجاز اللغوى» من خلال دراستنا فى كتابه «الكامل» .وسنبدأ بالمجاز المرسل.

---

(١) تأويل مشكل القرآن : ١٦٦.
(٢) المرجع السابق : ١٣٢.
(٣) سورة الدخان . الآية ٢٩.
(٤) تأويل مشكل القرآن : ١٦٧٢ .

الفصل الأول

المجاز اللغوى عند المبرد

«دراسة وتحليل»

المبحث الأول: المجاز المرسل

المجاز المرسل أحد فرعى المجاز اللغوى وحُددت علاقته بأنها غير المشابهة ،«وسمى مرسلا لإرساله عن التقييد بعلاقة المشابهة ،فصح جريانه فى عدة من العلاقات »[1].

واختلف المتآخرون فى تحديد هذه العلاقات ونوعها غير أن المشهور منها عشرة [2].

« فإذا أردنا أن نحصر هذه العلاقات فى عدد معين وجدنا أنها تختلف بالزيادة والنقصان لدى هؤلاء العلماء ، فمنهم من اقتصر على أهم هذه العلاقات والتى تعد أساسا لما تفرع عليها بعد ذلك من علاقات أخرى كالسكاكى والخطيب.

ومنهم من زاد على ذلك [3]ووصل بها إلى ثمانية وعشرين علاقة، ومنهم من وصل بها إلى ثلاثة وأربعين ، وفرَّع من تلك العلاقات

---

(١) مواهب القناح : ٤/ ٢٩ ضمن (شروح التلخيص) .

(٢) هى : السببية ، والمسببية ، والجزئية ، والكلية، والآلية، واعتبار ما كان ، واعتبار ما سيكون ، والمجاورة ، والمحلية، والحالية، انظر الإيضاح ٣/ ١٠٠، والمطول : ٢٥٥.

(٣) نقل ضياء الدين بن الأثير عن أبى حامد الغزالى أربع عشرة علاقة ولكنه رأى أن أكثرها يدخل بعضها فى بعض ، وذكر الزركشى ستا وعشرين علاقة ،وذكر بها الدين السبكى أن علاقات المجاز المرسل تزيد عند بعض العلماء إلى أكثر من ثلاثين . انظر . المثل السائر : ٢/ ٨٨ ـ ٩٥ ، والبرهان فى علوم القرآن : ٢/ ٢٥٩. ـ ٢٩٦ ، وعروس الأفراح ضمن (شروح التلخيص) : ٤٠/ ٦٠ .

علاقات أخرى مبينة عليها »[1].

ويرجع الاختلاف في حصر هذه العلاقات ونوعها إلى علاقة الملابسة؛ إذ يصلح تفسيرها بعلاقات كثيرة دون أن تتحدد فى علاقات جزئية معينة .فالعرب كانوا يعتمدون الملابسات التى تسوغ النقل فى إطار عرفهم البيانى [2] ولذا كثرت العلاقات التى تناسبها.

وفى كتاب « الكامل» أمثلة كثيرة متناثرة لأشهر علاقات المجاز المرسل ، وهى ترد غالبا مشفوعة بالتحليل والبيان،ومع الإشارة أحيانا إلى العلاقة، والقرينة ولم يذكر المبرد تسمية لهذا المجاز، وإنما هى تسمية المتأخرين بعد عبد القاهر الجرجانى غير أن دراسات المبرد لأمثلته كانت أصلا من الأصول التى اعتمد عليها المتأخرون فى تسمية هذا المجاز وتحديد معالمه.

وسأورد ما جاء فى كامل المبرد من دراسات هذا النوع من المجاز مقترنة بعلاقاته على ما ذكره المتأخرون . ومعلوم أن العلاقة تعتمد اللفظ المذكور ، لتدل به على اللفظ الآخر الذى وقع بينهما الملابسة.

١ ـ **السببية** : أي ذكر السبب وإرادة المسبب . ومن أمثلته أن المبرد روى قول أبي الحسن الأخفش:

حدثتْكَ نفسُك بالوفاءِ ولم تكُنْ للغدْر خائنةٌ مُغِلُّ الإصبُعِ

ثم قال: « والإصبع أفصح ما يقال ... موضعها[3] ها هنَا : اليد.

(١) البيان عند الشهاب الخفاجى فى كتابه « عناية القاضى وكفاية الراضى » القسم الثانى فى المجاز المرسل : ٦٠.

(٢) التصوير البيانى باختصار : ٣٥٨.

(٣) الإصبع مؤنثه ، وهى إصبع الكف، وكذلك « الإصبع» : الأثر الحسن من الرجل علي عمله ؛ فأحسن عمله، أو معروف أسداه إلى قوم ، فهم يرى أثره عليهم». المذكر والمؤنث ؛ لابن الانبارى : ١/ ٣٥٠.

يقال: لفلان عليك يدٌ ، ولفلان عليك إِصبَع ، وكلٌّ جيد ، وإنما يعنى ها هنا : النعمة» [1].

فاستعمال كل من :«يد» و«إصبع» فى النعمة مجاز مرسل بعلاقة : السببية .وفى كلام المبرد إشارة إلى المولى لليد وهو قوله :« لفلان عليك يد » وهو ما اشترطه المتأخرون فيها وذلك لما لا حظوه من ضعف العلاقة بين اليد على الإطلاق ، والنعمة فى نحو : « اتسعت اليد فى البلد ، أو اقتنيت يداً » . يقول عبد القاهر معللا: « وذلك أن الأعمال الدقيقة لها اختصاص بالأصابع،وما من حذق فى عمل إلا وهو مستفاد من حسن تصريف الأصابع، واللطف فى رفعها ووضعها كما يعلم فى الخط والنقش وكل عمل دقيق»[2].

ويورد أبوالعباس قول امرئ القيس[3]:

كأنَّ أبانًا فى أفانين ودْقِهِ كبيرُ أُناسٍ فى بِجَادٍ مزمَّلِ

ثم يقول :

أبان : جبل ، وهما أبانان : أبان الأسود، وأبان الأبيض ... وقوله :

---

(١) الكامل : ١/ ٣٥٩ ـ ٣٦١.

(٢) أسرار البلاغة ٢/ ٢٢٣ ، ٢٦٨ وانظر : الأمالى للشريف المرتضى : ٣/ ٩٢ ، والإيضاح: ٣/ ٩٢ ، وتجريد البنانى علي مختتصرسعد الدين: ٢/ ٢٠٨ .

(٣) من المعلقة بديوانه: ٢٥ ،وشرح القصائد السبع الطوال : ١٠٦ ، وشرح القصائد العشر الطوال : ٥٢ ، برواية :

« كأنَّ ثبيراً فى عرانين وبله»

. ثبير : جبل ، وعرانين : أوائل . والوبل : ما عظم من القطر . والبجاد: كساء مخطط من أكسية الأعراب . قال شارح الديوان : شبه هذا الجبل حين غشيه المطر، وعمه الخصب بشيخ ضعيف فى بجاد . وخص الشيخ لأنه متدثر أبداً».

« فى أفانين ودقه » يريد : ضروبًا من ودقه. والودْق : المطر . قال الله ـ تعالى ـ : ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ﴾ [1] وقال عامر بن جوين الطائى :

فلا مزنةٌ ودقَتْ ودْقَهَا ولا أرضٌ أبقلَ إبقالَهَا

وقوله: كبيرُ أناسٍ فى بجادٍ مزمل

يريد متزمِّلاً بثيابه . قال الله ـ تبارك وتعالى ـ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[2]. وهو المتزمل بثيابه . والتاء مدغمة فى الزاى ، وإنما وصف امرؤ القيس الغيث ؛ فقال قوم: أراد أن المطر قد خنق الجبل ، فصار له كاللباس على الشيخ المتزمل. وقال آخرون [3]

إنما أراد : ما كساه المطر من خضرة النبت ،وكلاهما حسن .

وذكر الودْق لأن تلك الخضرة من عمله[4] .

ذكر المبرد معنيين. أولهما :التشبيه، وأشار بالثانى إلى المجاز المرسل مع الإشارة إلى نوع العلاقة بقوله:«لأن تلك الخضرة من عمله».

٢ ـ **المسببية :** أى تسمية السبب باسم المسبب. فقد أورد أبو العباس قول الراجز يصف غنما:

أقبل فى المُستنّ من ربَابِه أسنمةُ الآبَالِ فى سَحابِه

---

(١) سورة النور . الآية : ٤٣.

(٢) سورة المزمل : الآيات ١ , ٢.

(٣) هذا قول أبى نصر فى شرح القصائد السبع الطوال.

(٤) الكامل: ٣/ ٩١ . الآبال: جمع إبل ،والمستن موضع جريان الماء. أسنمة جمع سنام وهى خاصة بالإبل . دوين : تصغير « دون» .

ثم قال: « أراد أن ذلك السحاب ينبت ما تأكله الإبل ، فتصير شخومها في أسنمتها . والرَّباب : سحاب دوُيْن المعظم من السحاب»[1].

أراد الراجز بالأسنمة: المطر ؛لأنه سبب نموها .

وجاء في « الكامل» أن رجلا « رفع عقيرته» ليُسمِع جرير بن عبد الله البجلي:

تطاولَ ليلي واعترتْني وساوسي لآتٍ بالترُّهات البَابِس
أتاني جريرٌ والحوادثُ جمَّةٌ بتِلكَ التي فيها اجتِداعُ المعاطِسِ

ولم يعلق المبرد .

والمراد بقوله:« رفع عقيرته» رفع صوته بالشعر متوعّدًا، ورفع الصوت هنا مسبب عن العقْر .« يقال: عَقر الفرس والبعير بالسيف عقْراً :قطع قوائمه .وفرس عقير :معقور .والعقيرة: ما عقر من صيد أو غيره ،وعقيرة الرجل : صوته إذا غنَّى ، أو قرأ ، أو بكى »[2].

قال ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) : « وأصله أن رجلا قطعت إحدى رجليه ، فرفعها ووضعها على الأخرى ثم صرخ بأرفع صوته ؛ فقال الناس : «رفع عقيرته» فقيل لك من رفع صوته :« رفع عقيرته »[3].

وذكر عبد القاهر أن العلاقة تختلف قوة وضعفا وظهوراً وخلافه، فهي في تسميتهم الشاة التي تذبح عن المولود يوم سابعه :عقيقة أقوى

(١) الكامل : ١/ ٣٢٥ .
(٢) لسان العرب (عقر) .
(٣) الخصائص : ١/ ٦٦، وانظر رغبة الآمل من كتاب.الكامل : ٣/ ٣/ ٢١١.

من حال العقيرة فى هذا المثال قال:« وذلك أنه شئ جرى اتفاقا ، ولا معنى يصل بين الصوت وبين الرجل المعقورة. على أن القياس يقتضى أن لا يسمى مجازاً ، ولكن يجرى مجرى الشئ يحكم فيه بعد وقوعه»[1] وشبهه بالمثل الذى يشبه مضربه بمورده.

٣ ـ اعتبار ما سيكون:

أى تسمية الشئ باسم ما يؤول إليه.قال المبرد:« وقوله ـ جل وعز ـ: ﴿إنى أَرَانِى أَعصرُ خمراً﴾[2] أى عنبا ؛ فيصير إلى هذه الحال » فالخمر لا تعصر ، وإنما يؤول عصير العنب فى بعض الأحوال إلى خمر [3].

قال ابن يعقوب (ت ١١١٠ هـ) : « إن الأيلولة تكون يقينا أو ظنا، لا احتمالا.وأما فى الحال فلم يوجد سبب التسمية، ولا شك أن الارتباط موجود بين الحال، وما يؤل إليه صاحبه. وذلك مصحح للانتقال المصحح للتجوز،كقوله : ﴿ إنى أَرَانِى أَعصرُ خمراً﴾ ، فقد سمى العنب باسم الحال الذى سيحدث ، ويؤول إليه المسمى»[4].
وهذا المثال علم على هذه العلاقة .

٤ ـ المحلية : أى تسمية الحالِّ باسم محلِّه لما بينهما من الملابسة والمبرد يذكر أنه يمكن الاستغناء عن المضاف بالمضاف إليه. ثم

---

(١) أسرار البلاغة : ٢/ ٢٧١ , ٢٧٢.
(٢) سورة يوسف . الآية : ٣٦.
(٣) انظر . الكشاف : ٣/ ٣١٩ ، والإشارات والتنبيهات فى علم البلاغة:٢٣٧، والمطول : ٢٣٧.
(٤) مواهب المفتاح : ٤/ ٤١ ضمن (شرح التلخيص).

يقول: «إذا حذفت المضاف استغنى بأن الظاهر يبينه، وقام ما أضيف إليه مقامه فى الإعراب . من ذلك قول الله - تبارك وتعالىَ - :﴿وأسأل القرية﴾[1] نصبت لأنه كان :واسأل أهل القرية »[2].

المراد بالقرية:« مصر» أى أرسل إلى أهلها ؛ فسلهم عن كنه القصة[3].

فقد حذف المضاف، أهل» وليس المجاز فى حذفه كما رأى بعض العلماء ، وذلك « لأن المجاز استعمال اللفظ فى غير ما وضع له أولا، والكلمة المحذوفة ليست كذلك ، وإنما التجوز فى أن ينسب إلى المضاف إليه ما كان منسوبا إلى المضاف كقوله تعالى :﴿ واسْأَلِ الْقريةَ التى كُنَّا فِيها والْعِيرَ ﴾فنسبة السؤال إلى القرية ، والعير هو التجوز ؛ لأن السؤال موضوع لمن يفهمه ؛ فاستعماله فى الجمادات استعمال اللفظ فى غير موضعه؛ فكونهما مسئولين من جهة اللفظ دون المعنى هو المجاز . ومصحح هذا المجاز ما بين أهل القرية، وأصحاب العير من ملازمتهما»[4].ففى كلام المبرد إشارة إلى المجاز المرسل ، وبيان أن الحذف قياس متى وجدت القرينة الدالة، وهى هنا حالية.

- روى المبرد قول مهلهل يرثى أخاه كليبا ؛ فقال:

---

(١) قال الله تعالى :﴿ واسْأَلِ الْقريةَ التى كُنَّا فِيها والْعِيرَ التى أقبلْنَا فيها وإنا لصادقُون﴾ . سورة يوسفَ . الآية : ٨٢.

(٢) الكامل : ٣/ ٩٢ ، ٢/ ١٤٠.

(٣) الكشاف : ٢/ ٣٣٧.

(٤) الإشارة إلى الإيجاز فى بعض أنواع المجاز : ١٤ ، وانظر .أسرار البلاغة؛ ٢/ ٢٨٦ ، والمحرر الوجيز : ٣/ ٢٧١ ، والإيضاح : ٣/ ١٦٩.

وكان كليب إذا جلس لم يُرفع بحضرته صوتٌ ،ولم يُستبٍّ بفنائه اثنان

ذهبت الخيـارُ من المعـاشِـر كلُهم واسـتبَّ بعـدِك يـاكليبُ المجلـسُ

وتقاولُوا فى أمرِكـلِّ عظيـمةٍ لو كنتَ حاضِرِ أمرِهمْ لم ينبِسُوا(١)

ولم يعلق المبرد

قال الأصمعى (ت ٢١٣ هـ) :يقال للقوم : المجلس ، وأنشد

«واستبَّ بعدَكَ يا كليبُ المجلسُ»(٢).

فالمجلس مجاز مرسل عن أهله بعلاقة المحلية .

والعجب أن الآمدى (ت ٣٧٠ هـ) يجعله من الاستعارة ففى دفاعه عن البحترى يُورد قوله:

فكأن مجلسهُ المحجَّبَ مَحفلٌ وكأن خَلْوتهُ الخفيةَ مشهدُ

ثم يقول : « المجلس المحجب قد يكون فيه الجماعة الذين يخصهم وفى الأكثر الأعم لا يسمى مجلسا إلا وفيه قوم . ألاترى إلى قول مهلهل : **« واستبَّ بعدك يا كليبُ المجلسُ»**

أى أهل المجلس على الاستعارة (٣).

ولما كان هذا المجاز هنا لا يقوم على شبه بين المجلس ،وأهله ؛

---

(١) الكامل : ١ / ٣١٧ . وقوله : « لم ينبِسوا » أى ببنت شفه ،وهو كناية عن مهابة مجلسه . قال ابن منظور : « نَبَس ينْبِسُ نَبْسًا . وهو أقل الكلام ، وما نبس أى : ما تحركت شفتاه بشئ ، وما نبس بكلمَة . أى ما تكلم» اللسان .(نبس) .

(٢) مجالس ثعلب: ١/ ٥٧،وانظر . شرح الحماسة للمرزوقى ٢/ ٩٢٨ ، وأمالى القالى : ١/ ٩٥ .

(٣) الموازنة بين شعر أبى تمام والبحترى : ١/ ٣٩٣.

فيكون استعارة فقد أورد عبد القاهر قول الآمدى ، ثم عقب بقوله: «أطلق لفظ الاستعارة على وقوع المجلس هنا بمعنى القوم الذين يجتمعون فى الأمور ،وليس المجلس إذا وقع على القوم من طريق التشبيه ،بل على وجه وقوع الشئ على ما يتصل به ، وتكثر ملابسته إياه.وأى شبه يكون بين القوم ومكانهم الذى يجتمعون فيه !إلاأنه لا يعتد بمثل هذا ؛ فإن ذلك قد يتفق حيث ترسل العبارة »[1].

ولعل الذى أوقع الآمدى أنه توسع فى مفهوم الاستعارة؛ فتعريفها عنده يشمل بعض أمثلة المجاز المرسل حيث قال: « وإنما استعارت العرب المعنى لما ليس له إذا كان يقاربه، أو يناسبه، أو يشبهه فى بعض أحواله ، أو كان سببا من أسبابه». فالمراد بقوله :« أو كان سببا من أسبابه»[2].فبين المجلس وأهله مطلق تعلق وارتباط على غير جهة المشابهة، وهو مفهوم المجاز المرسل :

٥ ـ الآلية : أى تسميته الشئ باسم آلته. قال المبرد:

«وقال المفسرون[3] فى قول الله ـ عز وجل ـ عن إبراهيم ـ صلوا الله عليه ـ : ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ﴾[4] أريد باللسان :الثناء الحسن ؛ فإنه يبقى طويلا ، بخلاف اللسان، وهو آلة الثناء »[5].

---

(١) أسرار البلاغة : ٢/ ٢٧٣ ، ٣٧٤.
(٢) الموازنة : ١/ ٢٦٦.
(٣) يعنى بهم علماء اللغة : انظر: مجاز القرآن : ٢/ ٨٧ ، ومعانى القرآن : ٢/ ٣٨١ وتجريد البنانى : ٢/ ٢١١.
(٤) سورة الشعراء . الآية : ٨٤.
(٥) الكامل : ١/ ٣٧٨.

فهـذا بيان شاف فـى تحديد العلاقـة . يقول ابن يعـقوب: « أطلق اللسان الذى هو اسم آلة الكلام، والذكـر على نفس الذكر ؛ لأن اللسان آلته. ولا يخفى أن الانـتقال من الآلة إلى ما هى له آلة صـحيح ؛ فصح التجوز»[1].

فإطلاق اللسان على الحـسن علاقته الآلية. وعلى هذا جمـهور علماء البيان[2].

ومن العلماء من جعل العلاقة :السببية ، أوالجزئية .

فالقاضى البيضاوى (ت ٦٩١ هـ) أتبع الآية الكريمة بقوله: «جاهًا وحسن صـيت فى الدنيا يبـقى أثره إلى يوم الدين؛ ولذلك مـا من أمة إلا وهم محبُون له، مثنون عليه. أو صادقا من ذريتى يجدد أصل دينى ».

واذكر هنا تعليق فاضلين ممن كتبوا على البيضاوى .

أولا: قـال شـيخ زادة (ت ٩٥١هـ) قـولـه : «وحـسن صـيت» : الصـيت: الذكر الجـميل الذى ينشـر فى الناس دون القبـيح . عبـرَّ عن الثناء الحسن والقـبول العام فى الأمـم التى تجئ بعده إلى يوم القيـامة باللسـان ، ولكون اللسـان سببـا فى ظهوره وانتـشـاره ، وبقاء الذكـر الجمـيل على ألسنة العباد إلى آخـر الدهر دولة عظيمة من حـيث كونه دليلا على رضى الله ومحبته للعبد ... ثم قال:

«قوله: أو صـادقا من ذريتى » فيكـون ذكر اللسان من قـبيل تسمـية

(١) مواهب الفتاح : ٤/ ٤٢.

(٢) انظر : الإيضـاح : ٤/ ١٠٠ ، والمطول : ٣٥٦، وحـاشـيـة الدسـوقى ٤/ ٤٢ ، وتجريد البنانى على مختصر سعد الدين : ٢/ ٢١١.

الكل باسم جزئه...» [1].

ثانيا: وقال الشهاب الخفاجي (١٠٦٩هـ) قوله :« (جاهًا) فالمراد باللسان: الذكر الجميل بعلاقة السببية، أو للاحتراز عن الإطراء المذموم وهو المراد من حسن الصيت...» ثم قال:

قوله:(أوصادقا من ذريتى) فهو بتقدير مضاف . أى صاحب لسان صدق، أو مجاز بإطلاق الجزء على الكل؛ لأن الدعوة باللسان»[2].

فالعلاقة عند كل من شيخ زادة،والشهاب الخفاجى : السببية، أو الجزئية[3]،وقول الشهاب :«فهو بتقدير مضاف. أى صاحب لسان » فإنه يرُاد باللسان : الحقيقة.

وأقول: إن المتبادر من معنى الآية، والذى عليه جمهور العلماء أن العلاقة هنا الآلية .

يقول البطليوسى : (ت ٥٢١ هـ) فى قوله تعالى : ﴿ واجْعل لِى لِسانَ صِدْقٍ فِي الآخرِين ﴾ « أى : ذكرا جميلا. وحقيقته : أن اللسان هو الخبر، والكلام سمى لسانًا ؛ لأنه باللسان يكون على مذهبهم فى تسمية الشئ باسم غيره إذا كان منه بسبب »[4].

---

(١) حاشية محيى الدين شيخ زادة على تفسير القاضى البيضاوى . الجزء الثالث ٤٧٣، ٤٧٤.

(٢) حاشية الشهاب الخفاجى : ٧/ ١٩.

(٣) انظر : البيان عند الشهاب الخفاجى فى كتابه « عنايةالقاضى وكفاية الراضى . القسم الثانى . فى المجاز المرسل : ١٥.

(٤) الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب . القسم الأول : ٦٨ ،وانظر منه : ٤٨.

وروى المبرد قصيدة لأعشى[1] باهلة يرثى « المنتشر بن وهب الباهلى» ومطلعها:

إنى أتتنى لسانٌ لا أُسَرُّ بِهـا من عَلُ لا عجبٌ منها ولا سخرُ
فبتُّ مُرتفقًا للنَّجمِ أرقبُه حَيْرانَ ذَا حذرٍ لو ينفعُ الحذَرُ

ثم قال فى الشرح :

قوله :« إنى أتتنى[2] لسان » . يقال : هو اللسان ، وهى اللسان . فمن ذكَّر فجمعه ألسنةٌ ، ومن أنث قال : لسانٌ وألسُنٌ . وأراد باللسان

---

(١)هو عامر بن الحرث بن رباح بن أبى خالد بن ربيعة بن زيد بن عمرو... ابن قيس عيلان، وقيل : هو من بنى عامر بن عوف بن ثعلبة بن وائل . الأصمعيات : ٨٧ (هامش) . وقد ذكر المبرد قدراً كبيرا من القصيدة فى الكامل : ٤/ ٦٥، وهى فى جمرة أشعار العرب : ٥٦٨ ، ومختارات ابن الشجرى : ٣٢، والأصمعيات : ٨٧ وجاءت رواية مطلع القصيدة :

قد جاء من عَلُ أنباءٌ أنبُّؤها إلىَّ لا عجب منها ولا سخرُ

وفِى شرح المزروقى . القسم الثالث: ١٠٦٠ ، وشرح المفصل : ٤/ ٩٠ « من علُ» بضم اللام ، وفى الصحاح،ومختارات ابن الشجرى «عَلْوُ» بسكون اللام مع ضم الواواو أو فتحها .

وفى مناسبتها يقول المبرد:« وكان من خبره ـ المنتشر ـ أنه أُسر »صلاةُ بن العنبر الحارثى» ؛ فقال : أفتد بنفسك ؛ فأبى ؛ فقال : لأُقطعنّك أُنملة أنملة ، وعضواً عضواً مالم تفد نفسك ؛ فجعل يفعل ذلك به حتى قتله . ثم حجَّ من بعد ذلك «المنتشر» ـ ذا الخُلصة ـ وهو بيت كانت « خثعم» تحجه ـ فدلتِ عليه بنو نفيل بنِ عمرو بن كلاب الحارثيين ؛ فقبضوا عليه ؛ فقالوا : لنفعلنَّ بك كما فعلت بصلاءة ؛ ففعلوا ذلك به . فلقى راكبٌ أعشى باهلة ؛ فقال له : هل من جائية خبر ؟ قال : نعم . أسرتْ بنو الحارث « المنتشر» فقال أعشى باهلة « القصيدة» .. والمناسبة فى جمهرة أشعار العرب : ٥٦٨.

(٢) قال ابن الأنبارى (ت ٣٢٨ هـ) : « اللسان يذكر ، وربما أنث إذا قصدوا باللسان قصد الرسالة ، أو القصيدة ثم استشهد بأبيات منها ، أولها:

أتتنى لسانُ بنِى عامرٍ أحاديثُها بعدُ قولُ نُكُرِ

ها هنا : الرسالة [1].

فاللسـان مجاز عن الرسـالة؛ لأنه يمليها على مـن يكتب . والقرينة «أتتنى» .

وجاء لفظ « لسان فى شعر وأريد به القول ،وهو :

مَلأْتُمْ فِجاج الأرض عدلاً ورأفـةً ويعجزُ عَنّى غير عُجـز رحيبُـها

قطعتُم لِسانِى عن علوّتنا لكُـمْ عقارِبهُ تلدا غُها ودبيُبـها

يقول لممدوحـه:إنّ عدلكم البالغ لم يعد معه لكـم عدوّ ، فهذا منع قولى من هجاء أحـد تجاهكم. يقول أبو زيد القرشى: «قطـعتم لسانى» أي: منعتمونى من الكلام »[2] .

٦ ـ **المجاورة** : أى ذكر الشئ باسم مجاوره لما بينهما من الصلة .

ومن أمثلتهاأن المبرد روى مقطوعة لابن نمير الثقفى ، وأولها :

أشاقتْكَ الظعائنُ يوم بَانواُ بذى الزىّ الجميل مِن الأثَاثِ

ظعائن أسلكتْ نقْبَ المنقّى تحثُّ إذا وزِنتْ أىَّ احتثاثِ

ثم قال : « قوله: الظعائن .وأحدتها ظعـينة ، وإنما قيل للمرأة ظعينة وهم يريدون مظعـونا بهـا ، ثم استعـمل هذا وكثـر حـتى قيل للمـرأة المقيـمة ظعينة» [3]فليس ثمة شبه بين المـرأة والهودج ولكن لما كانت هناك مجاورة فى السفر صح إطلاق «ظعـينة» على المرأة ، ثم اتسع فيه وكثر حتى قيل للمرأة المقمية ظعينة .قال أبو زيد : الظعائن : الهوادج،

(١) المذكر والمؤنث لأبن الأنبارى : ١/ ٣٣٨.

(٢) جمهرة أشعار العرب : ٧٨٨ .

(٣) الكامل : ٢/ ٢٣٩.

وإنما سميت النساء ظعائن لأنهن يكن فيها »[1].

ومنها قوله:« روى» استقى لأهله . يقال: فلان راوية أهله إذا كان يستقى لأهله، والتى على البعير والحمار : مزادة » [2]فالراوية فى الأصل للبعير ونحوه مما يحمل الماء ،وإطلاقها على المزادة ونحوها مجاز مرسل قال أبو عبيد: (ت٢٢٤هـ):« العرب تسمى الشئ باسم غيره إذا كان معه، أو من سببه. كما قالوا للمزادة : راوية به، لأنها تكون عليه » [3].

ويقول المبرد:«العِطفُ: ما أنثنى من العنق ... ويقال للأردية: العُطفُ؛لأنها تقع على ذلك الموضع»[4] فالمجاورة سوغت إطلاق العطف عليها.

وروى أبو العباس قول أعرابى :

ترَى القومَ منها مُطرقين كأنما تساقَوْا عقارًا لايَبِلُّ سليمُها

ثم قال فى الشرح :

«قوله» تساقوا عقارًا» يريد: كأنهم سكارى لما نالهم من الحجة . والعُقار: اسم من أسماء الخمر، وإنما سميت عُقارًا لمعاقرتها الدِّن». فعلى هذا التفسير العلاقة: المجاورة[5].

---

(١) كتاب الأضداد عن الأصمعى : ٤٦ ضمن (ثلاثة كتب فى الأضداد).
(٢) الكامل : ٣ / ٢١٨ ، وانظر الموازنة : ١/ ٣٦، واسرار البلاغة : ٢/ ٢٧٢.
(٣) غريب الحديث . المجلد الثالث : ١٥٦ ، وانظر حاشية السيد على المطول : ٣٥٥.
(٤) الكامل : ٢/ ٣٠٤ وفي لسان العرب (عطف):« العطف : المنكب ..والعطاف: الرداء ، والجمع : عطفٌ وأعطفة.. وقيل : المعاطف: الأردية، لا واحد لها ، . وسمى الرداء عطافا ؛لوقوعه على عطفى الرجل . وهما ناحيتا عنقه ».
(٥) الكامل : ١/ ١٠٧ والضمير فى « منها » يعود على البيتين قبلها وهما : =

ويجوز أن تكون السببية بتفسير آخر .قال ابن منظور :(ت ٧١١هـ): « سمي الخمر عقاراً ؛ لأن الدَّن يعقر العقل »[١]. فالخمر سب عقره. أي منعه عن التفكير والاهتداء . وذكر أبو زيد القرشي هذين التعليلين في تسميتها عقاراً[٢].

٧ ـ الكليـة : أي تسمية الشئ باسم كلِّه. ومن أمثلتها أن المبرد روى شعراً لرجل من بنى تميم ، ومنه قوله:

إنَّ الذين يسوغُ فى أعناقِهم زادٌ يمُنُّ عليهم للِئَامُ

ثم قال:

قوله« يسوغُ في أعناقهم» يريد : حلوقهم ؛ لأن العنق يحيط بالحلق»[٣].

ونقده «المرصفي»[٤] في روايته بقوله: « هذه رواية أبى العباس وقد تكلف لها . والرواية على ما أنشده أئمة اللغة :

« إن الذين يسوغُ فى أحلاقِهم»

ودَاهيـة داهَى بهـا القـومَ مُفلق شديد بعوران الكلام أزومُها
أصخْتُ لها حتى إذا ما وعيتُها رميْتُ بأخرى يستدير أميمُها

قال المبرد: قوله « وداهية» : يعنى حجة داهى بها القوم . مفلق : يريد: عجيبة ، والمراد :أن الرجل أورد حجة بليغة لها تأثير على القوم فاطرقوا ؛كأنما تساقوا عقاراً .

(١) اللسان : (عقر) .

(٢) جمهرة أشعار العرب : ٣٦٢.

(٣) الكامل : ١/ ٥٩ .

(٤) هو الشيخ سيد بن على المرصفى . من كبار العلماء بالأزهر، وتولى تدريس اللغة العربية فيه إلى أن نالت منه الشيخوخة ، فاعتكف فى منزله ، وأقبل عليه الطلاب ؛ فكان يعقد لهم حلقات التدريس إلى أن توفى (١٣٤٩هـ ـ ١٩٣١ م) وأهم مؤلفاته: « رغبة الآمل من كتاب الكامل » انظر : الأعلام : ٣/

مستشهدين به على أن يقال: حلق وأحلاق ، والكثير: حلوق»[1].

فعلى رواية أبى العباس تكون الأعناق مجازاً عن الحلوق بعلاقة الكلية. وعلى ما رواه أئمة اللغة : الأحلاق حقيقة لغوية .

٨ ـ **الجزئية** : أى تسمية الشئ باسم جزئه . ففى شرح المبرد لخطبة الصديق ـ رضى الله عنه ـ قال: وقوله: « وَرِم أنفهُ» يقول : امتلأ من ذلك غضبا، وذكر أنفه، ودون السائر كما يقال: فلان شامخ بأنفه . يريد رافع ، وهذا يكون من الغضب» [2].

فالغضب يملأ الجسم ولكن ظهوره فى الأنف أكثر ؛ ولذا قال أبوالعباس :« دون السائر» فللأنف أهمية فى هذا المقام ، وهذا ما جعله موضع الذكر .

ويورد أبو العباس مقطوعة لجرير يمدح هشام بن عبدالملك ، ومنها قوله : [3]

ترىَ للمسلمين عليك حقًّا ... كفعْلِ الوالد الرءُوف الرَّحيم
[وُلِّيتمُ أمرنا ولكُم علينا ... فَضُولٌ فى الحديثِ وفى القديمِ]
إذا بعضُ السِّنِين تعرفتنا ... كفىَ الأيتامَ فقدَ أبى اليتيمِ

وفى بيان المبرد لقول جرير :

«إذا بعض السِّنين تعرفَتْنا »

(١) رغبة الأمل : ١/ ١٩٦.

(٢) الكامل : ١/ ٦.

(٣) المرجع السابق : ٢/ ١٣٩ . والأبيات من قصيدة بديوانه : ٥٠٦ وعددها أربع وعشرون بيتا . والبيت الثانى : « وليتمُ أمرنا .. » غير موجود بالكامل . وأثبته هنا ليستقيم المعنى . والبيت الثالث:« إذا بعض السنين ..»و ورد فى المقتضب : ٤/ ١٩٨ شاهداً على اكتساب المضاف التأنيث من المضاف إليه .

فإنه يذكر سبب تأنيث الفعل « تعرفتْ» مع فاعلـه الضمير المستتر العائد على « بـعض» ؛ لأنه قصد به لفظ« السنيـن» ويورد له شاهدا هو تأنيث الفعل« شرقت» مع فاعله وهو « صدر» فى قول الأعشى :

وتشْـرقُ بالْقـولِ الـذى قـد أذعـتَهُ

كـماَ شـرِقتْ صـدرُ القـنَاةِ مـن الـدَّمِ (١).

فيقول: « لأن صـدر القناة قناة ، ومن كلام العرب : ..ذهبت بعض أصابعه» وأورد أبو العباس فى هذا الموضع أمثلة أخرى من الشعر .

فعلى هذا يكون كل من « بعض» و« صدر» فى البيتين مجاز مرسل علاقته الجزئية .

وثمة قول أجود منه . قال أبو العباس :

« والأجود أن يكون الـخبر فى المـعنى عن المضـاف إليه؛ فـأُقحم المضاف توكيداً ؛ لأنه خـارج عن المعنى . وفى كتاب الله ـ عز وجل ـ ﴿فظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾(٢). إنما المعنى فظلوا لهـا خاضعين .

---

(١) ديوانه :

(٢) يقول الله تعالى :﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ * إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ الشـعـراء :٣ , ٤ . والله تعـالى : يسلّى رسوله مـحمـداً ﷺ ويخفف عنه مـا يلاقيـه من عنت الكفـار ، وشدّة معـاناته من تكذيبهم وكفرهم حتى إنه ﷺ ليكاد يهلكُ نفسه أسىً عليهم . قال تعالى : ﴿ فلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾فاطر : ٨ . فـهدايتـهم إنما هى بيـد الله وحده، وشاءت إرادته سبحانه ألا يكرههم على الإيمـان ؛ فقد منحـهم العقول الواعـية، وأرسل إليهم محمداً ﷺ ومعـه الكتاب العزيز، بلْ ونصب أمامهم من الأدلة أينما سـاروا ، أو حلّوا ، والتى لو أنعـموا النظر فـيهـا لاهتـدوْا ؛ ولذا تركـهم الله إلى اختيارهم، وليكون الجزاء يوم الدين .

والخضوع بيِّن فى الأعناق ؛ فأخبر عنهم ؛ فأقحم الأعناق توكيداً . وكان أبو زيد الأنصارى يقول : أعناقهم : جماعاتهم . تقول: جاءنى عنقٌ من الناس والأول قول عامة النحويين ».

فقد ذكر المبرد قولين:

الأول: ويفهم منه أن بعض الشئ مثل كله من حيث التذكير والتأنيث وهو قول عامة النحويين ـ وقد عزاه ابن جرير (ت ٣١٠ هـ) إلى نحويى البصرة [١].

وعلى هذا القول تكون «أعناق» مجازاً عن أصحابها ـ كما سبق ـ يقول ابن منظور : وقيل : أراد بالأعناق هنا :الرقاب كقولك : ذلت له رقاب القوم ، وأعناقهم ...وجاء بالخبر على أصحاب الأعناق لأنه إذا خضع عنقه فقد خضع »[٢] .

وقال ابن عطية (ت ٥٤٦ هـ) « والتأويل الآخر : أن يريد الأعناق: الجارحة المعلمة ، وذلك أن خضوع العنق والرقبة هو علاقة الذلة والانقياد »[٣] فهو كناية عنهما .

وقال أبو حيان : (ت ٧٥٤ هـ) : وقيل :« أريد الجاحة»[٤].

---

(١) جامع البيان عن تأويل أى القرآن : ١٩ / ٥٩ . والمراد بهم :الكسائى والفراء وابن الأعرابى وعيسى بن عمر .. ، وانظر مجالس ثعلب : ٢/ ٤٣١ ، ومعانى القرآن : ٢/ ٢٧٦ ، والتفسير الكبير . المجلد السابع ١٣ / ٦١ .

(٢) اللسان : (عنق) .

(٣) المحرر الوجيز : ٤/ ٢٢٥ .

(٤) البحر المحيط : ٧/ ٥ .وفسره « على بن عيسى» بأنه على حذف مضاف . أى أصحاب الأعناق . فيكون من الإيجاز بالحذف . وهذا التقدير ركيك مع الإضافة إلى ضميرهم . انظر :روح المعانى : ١٩/ ٥٩ ، وحاشية الشهاب : ٧/ ٣ ، والدر المصون : ٥/ ٢٦٧ .

وذكر الفرَّاء (ت ٢٠٧ هـ) أن هذا أحب الوجوه إليه فى تأويل الآية [١].

الثانى : قول أبى زيد : أعناقهم : جماعاتهم . ونسبه ابن جرير إلى بعض نحويى الكوفة [٢]قال :« ويقال : يحتمل أن تكون الأعناق هم السادة والرجال الكبراء ؛ فيكون كأنه قيل : فظلت رءوس القوم وكبراؤهم لها خاضعين .

وجعل ابن منظور هذا التأويل من الحقيقة فقد قال:«.. قال ابن الأعرابى : أعناقها : جماعاتها، وقال غيره : ساداتها ».

وجعله الزمخشرى من المجاز قال :« ومن المستعار أتانى عنق من الناس، وجعله رسلاً رسلاً ، وعنقًا عنقًا [٣].

والخلاصة أن:

توجيه الأعناق على الحقيقة يراد بها : الجماعات ؛ فيكون استغرقت الأعناق جملة الناس .

ـ وعلى المجاز المرسل بعلاقة الجزئية يراد بها :الجماعة المتقدمة مثل الرؤساء ، والكبراء.

ـ وأما على المجاز المركب فيلاحظ هيئة اجتماع الجماعة ، وارتباطها على الخضوع والإذعان .

---

(١) معانى القرآن ٢/ ٢٧٦.

(٢) جامع البيان ١٩/ ٦١ . وقال به: ابن عباس ، ومجاهد ، وابن زيد ، والأخفش انظر البحر المحيط : ٧/ ٥ ، وتفسير البيضاوى ٧/ ٣ هامش (حاشية الشهاب).

(٣) أساس البلاغة :(عنق)

فلكل من العلماء رأيه ووجهة نظره . ولعل القول بالمجاز أولى سواء جعل من المجاز المفرد ، أومن المركب بعلاقة الهيئة الحاصلة من الاجتماع والترابط فى كلٍّ .

وقد ذكر المبرد فى«المقتضب»[1] . هذه الآية الكريمة وعددا من الشواهد الشعرية التى وردت فى« الكامل» . وذكر الرأيين بوضوح . ولعله أوجز فى « الكامل» اعتماداً على ما ذكره هناك ، فقد ألف « المقتضب» أولا، ثم أحال عليه كثيراً فى « الكامل»[2].

وأعود إلى المبرد حيث قال: « فأقحم الأعناق توكيدًا » فالكلام عن زيادة «أعناق» كماقال . فقد جعلها مؤكدة للضمير المنصل بها . ولكن كيف يتقدم المؤكِّد على المؤكَّد ؟ ومعلوم أن التابع رتبته التأخير !.

والقول بزيادة بعض الحروف فى القرآن مختلف فيه .

١ ـ ففريق يجيزها [3]ويعبر عن الزيادة بكلمات : زائد ، وصلة

---

(١) جـ٤ ص ٣٣٥.

(٢) انظر : الكامل : ١/ ٨٣ ، ٢/ ١٧٦ ، ٣/ ١٠١ ، ١٧٣.

(٣) نقل ابن هشام عن العلماء فى «لا» أقوالا منها : أنها مزيدة لتقوية الكلام وتوكيده . وأورد أمثلة منها قوله تعالى :﴿ ما منعكَ ألا تسجُدَ﴾ ـ الأعراف : ١٢ ، مستشهد بأية سورة ص : ٧٥ ﴿ ما منعك أن تسجُد ﴾ ، ومنها قوله تعالى:﴿ لئلاً يعلَمَ أهلُ الكتَاب ﴾ الحديد : ٢٩ ، ﴿ فبمَا رحمة منَ الله لنْتَ لهُم ﴾ آل عمرانَ : ١٥٩ وحكىَ الاعَتراض على القول بزيَادتها فىّ قوله تَعالى : ﴿ لاأقُسم بيوْم القيامة ﴾ سورة القيامة : ١ وردّ « أبى علىّ» على ذلك بأن القرآن كله كالسورة الواَحدة ؛ ولهذا يذكر الشئ فى سورة ، وجوابه فى سورة آخرى . مغني اللبيب : ١/ ٣٢٧ ـ ٣٢٩ ،

ـ وحكى الزمخشرى زيادة « لا» فى آيتى » الحديد ، والقيامة ، وأشار إلى الاعتراض السابق وجواب « أبى على » عليه . الكشاف : ٤/ ١٨٩. =

ولغو، ومقحم ، كما هنا .

وإذا كان مضمون هذه الألفاظ واحداً ؛ فإن القول بلفظي : «لغو» و«مقحم» لا يليق بأى لفظ من كتاب الله أن يقال فيه واحد منهما ؛ فالذوق العربى الإسلامى يأبى ذلك .

يقول ابن منظور :« قَحَم الرجلُ فى الأمرِ يقحُمُ قُحُومًا ، واقْتحَم ، وانْقَحَم وهما أفصح: رمى بنفسه فيه من غير رويّة .. وقيل : رمى بنفسه فى نهر أو هدْوة ، أو فى أمر من غير دُربة .. وتقحيم النفس فى الشئ : إدخالها فيه من غير رويّة ... واقتحم المنزل : هجمه » .

فإذا كان من معانى « قحم» ومشتقاته: إدخال شئ فى آخر عُنوة ، أو دون رؤيةً ، أو الهجوم على الشئ .. فهل يليق بلفظ من ألفاظ القرآن الريم أن يقال فيه هذا ، أو يسوغ للمبرد أن يقول:« فأقحم الأعناق توكيدا» !.

والعجب :أن الزمخشرى نقل عبارة المبّرد وفيها هذه الكلمة ثم نقلها عنه كل من : أبى حيَّان ، والقاضى البيضاوى ، والشهاب

=وقال الرمانى : (ت ٣٨٦ هـ) بزيادة «لا» للتوكيد فى الآيتين ، كما ذكر أن « ما » جاءت لغوا فى قوله تعالى : ﴿ إن الله لا يستحيى أنْ يضرِبَ مثلاً مّا ﴾ . البقرة : ٢٦ ـ معانى الحروف : ٨٤ ، ٩٠ .

ـ وعقد الزركشى (ت ٧٩٤ هـ) فصلا مطولا لحروف الزيادة «إن» و«أن» و«ما» و«لا»، و«من» والباء ، واللام. واستشهد بآيات كثيرة . البرهان فى علوم القرآن : ٣/ ٧٥ ـ ٨٧ .

ـ وقال أبو البقاء (ت ٥٣٨ هـ) بزيادة بعض الحروف فى قوله تعالى ﴿فبِمَا رحمة من الله لنتَ لهمُ ﴾ آل عمران : ١٥٩ ، وقوله سبحانه : ﴿ لئلاَّ يعلَم أهلُ الكتابِ﴾ سورة. الحديد : ٢٩و التبيان فى إعراب القرآن : ١/ ٣٠٥ ، ٢/ ١١١٢ .

الخفاجى .. دون تردد أو نقد .

٢ ـ وثمة فريق أنكر الزيادة فى القرآن، ولعل ابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) كان أشهر من ردَّ فى غير هوادة على القائلين بها . وكان قوى الحجة، طويل النفس . إلا أن فى عبارته بعض التحامل .

وقد بين الدكتور عبد الفتاح لاشين هذا بإسهاب ، فقد ذكر[1] ما أورده ابن الأثير من المناقشة العلمية التى وقعت بين أحد علماء النحو، وأحد علماء البلاغة حول « أنْ» فى قوله تعالى : ﴿ فلمَّا أَنْ جَاءَ البشِيرُ﴾ [يوسف ٩٦] وانتصر لمن يرى عدم الزيادة ، وبين أن الفائدة من «أن» هى : أن إبطاء البشير كان بعيداً .

ويقول ابن الأثير هنا : « ومن ذهب إلى أن فى القرآن لفظا زائدا ، لا معنى له فإما أن يكون جاهلا بهذا القول ، وإما أن يكون متسمحا فى دينه واعتقاده » .

وأقول : إن حسن النية متوفر لدى الفريقين ، وإن خدمة النص القرآنى وتفسيره كان غاية كل منهما " فعلماء النحو قالوا بالزيادة ، وأن فائدتها التوكيد .وقد اتخذوا من الإعراب وضبط الكلمات وسيلة إلى تجلية المعانى ، والكشف ـ ما أمكن ـ عن مضون النص القرآنى فالإعراب عندهم فرع المعنى . والإعراب عمله أولاً فى الشكل والصورة.

---

(١) انظر : من أسرار التعبير القرآنى . حروف القرآن : ١٢٥ ـ ١٢٧ ، المثل السائر : ٢/ ٩٤، البلاغة عند المبرد فى الكامل فى اللغة والأدب «الجزء الأول» علم المعانى : ١٦٦ وما بعدها .

وقد نظر النحاة إلى الحروف العاملة فألفوها تارة لا تكف ما قبلها عن العمل فيما بعدها كالباء فى قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِيثَاقَهُم﴾[1]، وتارة تعمل لفظا ، لامحلا مثل « منْ» فى قوله تعالى : ﴿هلْ مِنْ خَالقٍ غيرُ اللهِ يرزُقكُم﴾ [2].. ومن ثم قالوا بزيادة بعض الحروف للتوكيد ، أو التقوية .. إلخ .

فالصناعة النحوية ألجأتهم إلى ذلك .

وأما من عارض الزيادة فإنه نظر إلى ما تؤديه هذه الحروف من معان ذات صلة وثيقة بالنظم ، وما يتطلبه الحال والمقام منها.

فقد نظر هؤلاء العلماء إلى المعنى والمضمون فلم يقولوا بالزيادة؛ بل عارضوها .

فحسن النية وخدمة النص القرآنى ـ كما قلت ـ متوفر لدى الفريقين ؛ولذا لانسلم بما قاله ابن الأثير فى أصحاب الرأى الأول، فقد أغلظ فى الرد عليهم . فلكل فريق رأيه واجتهاده ، والمجتهد بعد مثاب من الله ـ ما أخلص النية وكان رائده خدمة الدين والعلم دون تحامل ـ غير أن القول بعدم الزيادة أولى وأسلم كما ذهب السلف الصالح[3] والتابعون رضى الله عنهم . وفى هذا درء للمشككين وأهل الجدل والله الموفق.

---

(١) سورة النساء . الآية : ١٥٥ .

(٢) سورة فاطر . الآية : ٣.

(٣)انظر:البحث البلاغى عند أبى على الفارسى وأثره فى الدراسات البلاغية : ٣٧٢ وانظر .البلاغة عند المبرد فى الكامل فى اللغة والأدب الجزءالأول : ١٧٠ .

المبحث الثانى

الاستعارة

وهى اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلى كالأسد فى قولنا : رأيت أسدًا يرمى . فهى تعتمد على النقل من المعنى الحقيقى إلى المجاز على سبيل المبالغة لعلاقة الم

شابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقى وهى إما : مفردة ، أو مركبة .

أولا: الاستعارة فى اللفظ المفرد :

وهي تنقسم إلى : تصريحية ،ومكنية .

فالتصريحية : ما صرح فيها باللفظ المستعار، فإنه كان جامداً مثل : أسد ، وبحر كانت أصلية.

وإن كانت فعلا ، أو مشتقا ، أو حرفا كانت تبعية .

وإذا لم يصرح باللفظ المستعار ولكن حذف ورمز إليه بشئ من لوازمه فهى المكنية .

وفى كتاب « الكامل » دراسات مستفيضة للاستعارة بنوعيها : المفردة ، والمركبة . فقد بيّن أبوالعباس معنى الاستعارة ، ونقل اللفظ فيها من المعنى الحقيقى إلى المجازى، وأشار إلى كل من : العلاقة والقرينة كما أشار إلى أن التشبيه أصل الاستعارة .

معنى الاستعارة:

عرفت الاستعارة عند الناس بما يتداولونه من المحسوسات

بغرض المنافع ثم يرد المستعار بعد إلى صاحبه .والاستعارة بهذا المفهوم معناها لغوى ثم عنى بها علماء البيان : استعارة الكلمة أو الكلام المركب من المعنى الحقيقى إلى معنى آخر لمشابهة مع قرينة .. وفى كتاب « الكامل» هذان الأمران.

١ ـ قال المبرد: « حدثنى التُّوزى قال: دخل سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب على هشام بن عبد الملك وعليه عمامة تخالفها ؛ فقال هشام: كأن العمامة ليست من الثياب ! قال: إنها مستعارة . قال : كم سنُّك ؟ قال : ستون سنة [١].

ويذكر فى موضع آخر أن « ضابئ بن الحارث البرجُمى » كان استعار من قوم كلبا ؛ فأعاروه إياه ، ثم طلبوه منه [٢] .

فالاستعارة هنا بالمعنى اللغوى العرفى وهى أصل للاستعارة بالمعنى البيانى وهذا المعنى نجده عند ابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) حيث يقول:

« الأصل في الاستعارة المجازية مأخوذ من العارية الحقيقة التى هى ضرب من المعاملة ، وهى أن يستعير بعض الناس من بعض شئيا من الأشياء ، ولا يقع ذلك إلا من شخصين بينهما سبب معرفة بوجه من الوجوه ؛ فلا يستعير أحدهما من الآخر شيئا ؛ إذ لا يعرفه حتى يستعير منه ، وهذا الحكم جار فى استعارة الألفاظ بعضها من بعض ؛ فالمشاركة بين اللفظين فى نقل المعنى من أحداهما إلى الآخر

(١) الكامل : ٢/ ١٧٠.
(٢) المرجع السابق : ١/ ٣٨٧.

كالمعرفة بين الشخصين فى نقل الشئ المستعار من أحدهما إلى الآخر »[1].

وثمة صلة قوية بين المعنيين : الحقيقى ، والبيانى «الذى عرفت به ـ الاستعارة ـ لدى علماء البلاغة ؛ لما فى نقل اللفظ من معنى عرف به فى أصل اللغة إلى معنى آخر لم يعرف به هذا اللفظ حتى يصبح هذا اللفظ من الدلائل عليه ، وذلك المعنى من لوازم هذا اللفظ »[2].

فما ذكره المبرد للاستعارة معنى لغوى ، أو عرفى .

٢ ـ وعرفت الاستعارة عند المبرد بمعناها البيانى ، فقد أشار إلى كل من : تعريفها ، والجامع بين المعنيين ، وبين منهج العرب فيها عند شرحه لقول الراعى[3] فى المطر :

يا نعُمها ليلةٌ حتى تخونَها ... داعٍ دعَا فى فُروع الصُّبح شحَّاجِ
لما دعا الدَّعوة الأولى فأسمعنِى ... أخذتُ بُردىَّ واستمررْتُ أدْراجى

يقول المبرد : قوله :« شحاج» إنما هو استعارة فى شدة الصوت ، وأصله للبغل والعرب تستعير من بعض لبعض . قال جرير :[4]

إن الغرابَ بِما كرهْتُ لمولعٌ ... بِنوَى الأحِبَّة دائمُ التَّشحاجِ[5]

فقد بين أبو العباس استعارة « شحاج» للصبح ، وأشار إلى الجامع بين طرفيها

(١) المثل السائر : ٢/ ٧٧، وانظر أسرار البلاغة : ٢/ ١٨٥ .
(٢) الاستعارة . نشأتها . تطورها . أثرها فى الأساليب العربية : ٥ .
(٣) ديوان الراعى النميرى : ٢٩ ، ومعجم الشعراء للمرزبانى : ١٢٢ .
(٤) ديوانه ٥٩ والبيت من قصيدة يمدح بها الحجاج ،ومطلعها :
هاجَ الهوَى لفُؤادك المُهتاجِ ... فانظر بتُوضِحَ باكِراً لأحداجِ
(٥) الكامل : ١/ ٢٨٤ .

وقد استدرك «المرصفى » على « المبرد» جعل « شحاج» من الاستعارة فقال معلقا : « وأصله للبغل » كذا يقول أبو العباس ، وجعله استعارة فيما سواه ، وليس كما قال: بل هو حقيقة أيضا فى الحمار والغراب حتى إن بعضهم جعل الشحاج صفة غالبة للحمار»[1].

وبالرجوع إلى لسان العرب نجد ابن منظور يقول: « الشحيح والشُّحاج بالضم : صوت البغل والحمار والغُراب إذا أَسَنَّ » [2].

ويؤيد ذلك قول العجاج يصف الحمار الوحشى [3]:

كأَنَّ فى فِيهِ إذَا مَا شحجَا
عُوَيْدًا دُوَيْنَ اللَّهوات مُولجَا
رَعَى بِهَا مرْجَ ربيعٍ ممرِجًا

فعلى هذا يكون لفظ «شحج» ومشتقاته حقيقة لغوية فى «البغل» فقط عند بعض علماء اللغة ، وعلى هذا جرى كلام المبرد .

ويجوز أن يكون حقيقة لغوية كما ذكره « ابن منظور» عند جماعة آخرين وعلى هذا يحمل رد « المرصفى » وقد وجدت له شاهداً ، وهو قول العجاج هذا . فالرأى الثانى أرجح .

---

(١) رغبة الأمل : ٣/ ١٤٩ . وقد أستأنس بقول الثعلبى فى « فقه اللغة وسر العربية » : ٣١٨ « الشحيج للبغل » .
(٢) اللسان : (شحج) .
(٣) ديوانه : ٣٧٤ والمراد أنه إذا علا صوته كان له نغمة ، كأنَّ فى فمه آلة العُود .

وأورد أبو العباس قول جرير يرثي ابنه « سوادة» :

لكنْ سوادَةَ يجلُـو مُقْلتَيْ لَحِمٍ   بازٍ يُصَرصِـرُ فوقَ المـركبِ العْالي [1]

ثم قال : قوله : « يصرصر» يعني : يصوّت . يقال: صرصَر البازى ، والصقر وما كان مـن سباع الطير . ويقال : صرصر العصـفور. وأحسبه مسـتعـاراً ؛ لأن الأصل فيـه أن يستـعمل فى الجـوارح من الطيـر. قال جرير:

« بازٍ يُصرصِرُ بالسَّهْبَا قطَا جُونا » [2]

وأنشد فى عُمارة : [3]

« بازٍ يُصَـعْصِعُ» . وهو أصح . قال أبـو الحسن : «يُصعـصع» وهو الصواب . وهكذا وقع فى كتابه .

شبه جرير فى الأول ابنه بالبازى . أى : هو باز . تشبيه بليغ . ثم استعار له : « يصرصـر» بمعنى يصـدر صوتا متـقطعاً [4]. وهـو فـى الأصـل

---

(١) ديوانه : ٤٣٠ ورواية أبى العباس « هذا سوادة » ومطلع القصيدة :

قـالوا نصـيبـك من أجـر فـقلـت لهم   من لـلعـريـن إذا فـارقـت أشـبـالى

(٢) ديوانه : ٣٨٢ من قصيدة له يهجو التيم . والبيت كاملاً :

كأن حاديها لما أضرّ بها   باز يصعصع بالسهبا قطّت جُونا

والضمير فى حاديها يعود علىَ « العيش» فى بيت قبله وهو :

ينهى العـواذل بأسٌ من مـلا مـتنا   والعـيسُ عُـرضُ الفـجـاج الغُـبـر يخـدينا

(٣) وهى رواية د يوانه ؛ قال:

كـأنّ حـاديهـا لمـا أضـرّ بهـا   باز يُصـعـصـعُ بالسّـهـبـا قطًا جُـونًا

والضمير المَتصل من حاديها » يعود علي الَعيس» في بيت قبله يقول:

« والعيس عرضُ الفجاَج الغُبرْ يخْدينَا »

العييس : مفازة ، وقيل : بلد من أعلا بلاد اليمن . يصعصع : يطرد .

(٤) قالوا : صرّ الجندب ؛ فقطعوه لما هنالك من تقطيع . الخصائص : ١/ ٦٥.

لبعض الطيور .. ثم استشهد بقول جرير الثانى ؛ **هذا ما رآه المبرد .**

ولكن تعقبه «المرصفى» ؛ فبين أن الفعل « صرصر» حقيقة فى كلا الأمرين فقد علق على قول المبرد :« وأحسبه مستعاراً » ؛ بقوله : «ليس كما حسب ، بل هو حقيقة . تقول : صرَّ العصفور ، والجندب ، والبازى ، وصرَّ القلم، والباب كذلك صريراً : صوَّت» [1].

فالفعل على هذا حقيقة فى أصوات بعض الطيور والجمادات ..؛ فيكون حقيقة فى صوت « سوادة » قال ابن منظور (ت ٧١١ هـ) : «صرَّ يصرُّ وصريراً ، وصَرْصر: صوَّت وصاحَ أشدَّ الصياح . وقوله تعالى:﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾[2] قال الزجاج :الصرَّة شدة الصياح[3] تكون فى الطائر ، والإنسان وغيرهما» ثم روى أبيات جرير وفيها الشاهد الثانى ـ ثم قال :« قيل لامرأة : أى النساء أبغض إليك؟ فقالت: التى إن صخبت صرصرت ... وصرصر الطائر :صوَّت . وخص بعضهم به البازى والصقر » [4].

وعلى هذا فلعلماء الدين اللغة رأيان فى «صرَّ» ومشتقاته.

الأول: أنه حقيقة فى أصوات بعض الطيور والإنسان والجماد . وقد أورد ابن منظور لذلك شاهداً من القرآن الكريم، وآخر من كلام العرب.

الثانى : أنه خاص بالبازى[5] والصقر . والقائل بهذا الرأى قليل .

---

(١) رغبة الأمل : ٣/ ٣٠ .
(٢) سورة الذاريات . الآية : ٢٩.
(٣) معانى القرآن وإعرابه : ٥/ ٥٥.
(٤) لسان العرب : «صرصر» .
(٥) قال الثعالبى :« الصرصرةُ للبازى. الغقغقة للصقر». فقه اللغة وصحاح العربية : ٣١٩.

فالمبرد نظر إلى هذا الرأى ؛ فقال بالاستعارة ، والمرصفى نظر إلى الأول فقال بالحقيقة ، ووجه بالتالى نقده للمبرد، فلكل رأى دليل عند علماء اللغة بيد أن الرأى الأول أولى ؛لأن له شاهداً من القرآن الكريم. والمعنى بعد صحيح على كلا الرأيين .

وفى حديث المبرد عن بعض أصوات الطير فإنه يورد قول حميد بن ثور فى الحمامة المطوقة :

تغنَّتْ علَى غُصنٍ عِشاءً فلم تَدَعْ   لنا ئحة فى شجْوها مُتلوَّما
إذا حركتْه الريحُ أوْ مالَ مَيْلةً   تغنَّتْ علَيْهِ مائلاً ومُقَوَّماَ

ثم يقول :

« ويقال للحمامة : تغنت ، وناحت . وذلك أنه صوت حسن غير مفهوم ، فيشبه مرة بهذا ،ومرة بهذا» [١].

قوله: « يشبه ...» إشارة إلى أن الاستعارة تنبنى على التشبيه وأنه أصل الاستعارة .

فالشاعر استعار « تغنت» من الإنسان للحمامة بجامع التطريب فى كلٍّ وعلى هذا يحمل قول ابن منظور (ت ٧١١ هـ) « كلُّ من رفع صوته ، ووالاه فصوته عند العرب غناء »[٢].

ومن استعارة الفعل ماجاء فى قول عمر بن أبى ربيعة[٣] فى «القَتُول» :

(١) الكامل : ٣/ ١٢٤ وما بعدها .
(٢) لسان العرب : (غنا) .
(٣) ديوانه : ٥٩.

أزهقتْ أمُّ نوفلٍ إذ دعتْها مُهجتي مَا لقاتلٍ متَاب

فقد بين أبو العباس « أزهقت» بقوله :« تأويله : أبطلتْ وأذهبت قال الله ـ جل وعز ـ : ﴿ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾[1]»[2].

والحديث فى الآية الكريمة عن قهر القرآن الكريم، أو الحجة الواضحة للشيطان والشبه الباطلة .. قال الله تعالى : ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ فالقذف هو:الرمى وأريد به القهر كما سبق .

فقد استعير «لفظ زهوق» الذى هو إخراج الروح لمعنى الإبطال. ثم اشتق منه « أزهقت » فى البيت ، و«زاهق» فى الآية الكريمة .

يقول الزمخشرى (ت ٥٢٨ هـ) استعير لذلك ـ الإبطال ـ القذف، والدمغ تصويراً لإبطاله وإهداره ومحقه ، فجعله ـ الباطل ـ كأنه جرم صلب كالصخرة مثلا قذف به على جرم رخو أجوف ، فدمغه » .ثم اشتق منها : « نقذف» و« يدمغ»[3]لهذا المعنى .

وأشار أبو العباس إلى الاستعارة التصريحية الأصلية عند بيانه لرسالة على بن أبى طالب يرد على معاوية ـ رضى الله عنهما ـ وأولها قوله: [4]

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ من على بن أبى طالب إلى معاوية بن صخر أما بعد. فإنه أتانى منك كتاب امرئ ليس له بصر يهديه ، ولا

(١) سورة الأنبياء . الآية : ١٨.
(٢) الكامل : ٢/ ٤٣.
(٣) الكشاف : ٢/ ٥٦٥ ، وانظر . رسالة النكت فى إعجاز القرآن للرمانى : ٨٨ (ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن).
(٤) الكامل : ١/ ٣٣٠ وما بعدها .

فائد يرشده .دعا الهوى فأجابه ، وقاده فأتبعه »

ثم شرع فى شرحها، ومما قال:

وقوله:«ليس له بصر يهديه «فمعناه :يقوده، والهادى هو الذى يتقدم ؛ فيدُل. والحادى الذى يتأخر فيسوق.والعنق يسمى الهادى ؛لتقدمه.

وقوله: « دعا الهوى » فالهوى من هويت مصور . قال الله ـ عز وجل ـ ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ (١).

فقد جعل العقل فى دلالته على الحق مشبها بالبصر . ثم استعير البصر لهذا المعنى .ولفظ « يهديه » قرينة .**فالاستعارة تصريحية أصلية** وشبه الهوى وهو معنوى بالمأمور المطيع المجيب ، ثم حذف المشبه به ، ورمز إليه بشئ من لوازمه وهو الإجابة ثم اشتق منه « أجاب» **فالاستعارة مكنية** .

وأما الآية الكريمة فإنها تصف الكفار الذين زُيِّنَ لَهُم سُوءُ أعمالهم فاتبعوها . يقول أبو حيان (ت ٧٥٤هـ) : ﴿ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ أى : شهوات أنفسهم ممن لا يكون له بينة ؛ فعبدوا غير خالقهم ، وقد بنى ألفعل « زُيِّن » للمجهول ليفيد كل مزين للشرك والمعصية ، وفيه تنبيه لهم عسى أن يفكروا ويهتدوا .

فشبهت الأهواء فى انقيادهم لها بالآمر المطاع بجامع السمع والطاعة فى كل . ثم استعير المشبه به للمشبه ، وحذف ورمز إليه بشئ

(١) قال الله تعالى :﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ سورة محمد ﷺ الآية : ١٤.

من لوازمه وهو الاتباع ، واشتق منه «اتبع» مسند إلى ضميرهم . **فالاستعارة مكنية** كذلك .

ومن التصريحية الأصلية ذكر الأخ ، والعم إذا أريد بهما الكلام المتفاوت في درجات النظم . وذلك أنهما وضعا للآدميين يقول المبرد: « وخُبِّرت أن عمر بن لجأ قال لابن عم له : أنا أشعر منك قال له : وكيف ؟ قال: لأني أقول البيت وأخاه، وأنت تقول البيت وابن عمه»(١).

ومن استعارة الفعل ما أنشده نُصيب في مدح سليمان وهو :(٢)

أقول لركبٍ صادرين لقيتهُم ... قَفا ذات أوشال ومولاكَ قاربُ
قفوا خبروني عن سُليمان إنّني ... لمعروفه من أهْل ودّانَ طالبُ
فعاجُوا فأثنَوْا بالذي أنت أهلُهُ ... ولو سكتوا أثنتْ عليك الحقائبُ

يقول أبو العباس :

« إنما يريد أنهم يرجعون مملؤة حقائبهم من رفده ؛ فقد أثنت عليه الحقائب من قبل أن يقولوا فليس للحقائب ألسن؛ فتثني ، أوتذم . وإنما امتلاؤها دليل على كثرة العطاء .

فقد شبه امتلاء الحقائب بثناء المادح بجامع الدالالة في كل ثم استعير الثناء لهذا المعنى، واشتبق منه« أثنت» بمعنى :دلت على سبيل الاستعارة الأصلية التبعية .

وورد في الكامل أمثلة لاستعارة الحرف فالمبرد يرينا في مثالين

(١) الكامل : ٢/ ١٦٠.
(٢) المرجع السابق : ١/ ١٨٤ ـ ١٨٧ ، وانظر . عيون الأخبار : ١/ ٢٩٩ ، والعمدة : ١/ ٧٤ ، وأمالي المرتضى . القسم الأول : ٦١ ، وأمالي القالي : ١/ ٩٤.

متجاورين استعمال الحرف فى حقيقة ، ثم فى مجازه .وهذا باعتبار متعلقه . يقول:

« قولهم:فلان على الدَّابة، وعلى الجبل .أى فوق كل واحد منهما. ثم تقول:فلان عليه دين تمثيلاً، وكذلك : زكبه دينٌ ، وإنما تريد:أن الدين قد علاه وقهره »[1] .

الحرف « على » يفيد الاستعلاء وهو على الحقيقة فى المثالين : فلان على الدابة ، وعلى الجبل .

وأما فى قوله : فلان عليه ديْن ، وركبه ديْن فهما من الاستعارة التبعية ؛ لأن الاستعلاء هنا مجازى .

شبه تمكن الدين من المدين ، وقهره له وعدم براءة ذمته منه إلا بقضائه شبه براكب دابة ونحوها . ثم استعيرت « فى» من معناها الأصلى لتدل على هذا المعنى على سبيل الاستعارة التبعية فى الحرف.

ويبين أبو العباس فى موضع آخر المعنى الأصلى للحرف ، ثم المعنى المراد به فى النظم . فالحرف يبدل من آخر بشرط وهو « إذا وقع الحرفان فى معنى فى بعض المواضع ». وهذا إشارة إلى العلاقة التى تصحح الاستعارة فى الحرف المستعار ، و يتبين هذا فى قوله:

« وحروف الخفض يبدل بعضها من بعض إذا وقع الحرفان فى معنىٍ فى بعض المواضع. قال الله ـ جل ذكره ـ : ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾[2] أى « على » ولكن الجذوع إذا أحاطت دخلت

---

(١) الكامل :١/ ٣٧.

(٢) سورة طه : الآية : ٧١.

«في» لأنها للوعاء . يقال :فلان في النخل . أي : قد أحاط به . قال الشاعر:

هم صلبُوا العبْديَّ في جذع نخلة فلا عطسَتْ شيبانَ إلا بأجدَعَا

وقال الله ـ جل وعز ـ : ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾[1] .أي عليه.

ففي الآية الأولى : « شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن الشئ الموعى في وعائه »[2] ثم استعير لفظ «في» لهذا المعنى على سبيل الاستعارة التبعية وذلك أن حقيقة الصلب يكون على جذوع النخل لا فيها . قال أبو عبيدة : «إنما هو على جذوع النخل »[3]. ومثله صلب العبدي في جذع نخلة في البيت .

وقد جاء معنى الصلب على الحقيقة في موضع آخر قال المبرد: ويروى أن شاعراً لبني أمية قال معارضا للشيع في تسميتهم زيداً المهدي:

صلبنَا لكمُ زيداً على جِذْع نخلةٍ ولم نَر مهدِيًا على الجذْعِ يُصلبُ[4]

وفي الآية الثانية نابت « في» مناب « على» لوجود العلاقة بين الحرفين . هذا على المجاز . ولكن لاداعي إليه ما أمكن الحمل على الحقيقة.ففيه رأيان :

الأول:المجاز:

ـ قال أبو عبيدة :[5] (ت ٢١٠ هـ)﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾[6]..جاز

(١) سورة الطور . الآية : ٢٨.

(٢) الكشاف : ٢/ ٥٤٦ .

(٣) مجاز القرآن : ٢/ ٢٣٤ ، وانظر الخصائص : ٢/ ٣١٣ .

(٤) الكامل : ٤/ ١٢.   (٥) مجاز القرآن : ٢/ ٢٣٤ .

(٦) سورة الطور : الآية : ٣٨.

« فيه »: به ، وعليه ، وفى القرآن ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ والسّلم :السبب والمرقاة .قال الشيبانى «البيت السابق».

- وقال ابن عطية [1]:(ت ٥٤٦ هـ) «المعنى ألهم (سلم) إلى السماء «يستمعون فيه» أى :عليه ، ومنه . وهذه حروف يسد بعضها مسد بعض».

ونقل أبو حيان[2] (ت ٧٥٤ هـ) كلام ابن عطية مع تصرف يسير .

الثانى :الحقيقة:

- قال الزمخشرى : (ت ٥٢٨ هـ) ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ﴾ منصوب إلى السماء يستمعون صاعدين فيه كلام الملائكة وما يوُحى إليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من تقدم هلاكه ﷺ على هلاكهم ، وظفرهم فى العاقبة دونه كما يزعمون »[3] .

- ونقل الرازى [4](ت ٦٠٦ هـ) قول الزمخشرى بتمامه ، كما نقله القاضى البيضاوى .

- وشرح الشهاب الخفاجى (ت ١٠٦٩ هـ) ما نقله البيضاوى حيث قال: « صاعدين فيه » يعنى أن الظرفية على حقيقتها ، وليست « فى » بمعنى « على» كما فى قوله ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ كما قيل ،والجار والمجرور متعلقه خاص ،وهو حال . أى : صاعدين فيه.

---

(١) المحرر الوجيز : ٥/ ١٩٣.
(٢) البحر المحيط . المجلد الثامن : ١٥٢.
(٣) الكشاف : ٤/ ٢٦.
(٤) التفسير الكبير . المجلد الرابع عشر : ١٧/ ٢٨.

وقيل : إنه ـ السلَّم ـ ضُمن معنى الصعود ،ولاحاجة إليه ، وقوله: « إلى كلام الملائكة » وأنه يتعدى بـ «إلى» كما يتعدى بنفسه ،.لا بـ «فى»، ولو جعل منزَّلاً منزلة اللازم أى يقع منهم الاستماع جاز »[1].

فالخفاجى بين أن المراد الحقيقة ، وأن ثمة فرقا بين كل من : «فى» و«على» فى الآيتين الكريمتين .

ـ وجمع بين الرأيين فى هذه الآية مفسر معاصر[2]حيث رأى أن «فى» للظرفية المجازية، وقد اشتهرت حتى ساوت الحقيقة، وأنه شاع فى الكلام :صعد فى السلم، ولذا اعتبرت ظرفية حقيقية.أى حقيقة عرفية.

فلا منافاة إذًا بين من زعم أن الظرفية مجازية ،ومن زعمها حقيقة .

ـ وأشار المبرد إلى الاستعارة العنادية فى مواضع من كتابه قال : «والسليم :الملسُوع، وقيل له: سليم على جهة التفاؤل ، كما يقال للمَهلكَة:مفازة ، وللغراب :الأعور .على الطيرة منه؛ لصحة بصره»[3] وقال فى موضح آخر :السليم :الملدوغ ،وقيل له :سليم تفاؤلا له بالسلامة »[4].

فهذه الأمثلة منها ما يراد به التفاؤل ، أو التطير ،وكل مستعمل فى ضد معناه بعد تنزيل التضاد ، أو التناقض منزلة التناسب .وهذا ما رآه أئمة اللغة والأدب .

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجى : ٨/ ١٠٧.

(٢) هو سماحة الإمام : محمد الفاضل بن عاشور رحمه الله . انظر . التحرير والتنوير ٢٧ / ٧٣ باختصار .

(٣) الكامل : ١/ ١١٠ وانظر الإيضاح : ٣/ ١٣٢

(٤) الكامل ٣/ ١٦٤.

يقول الأصمعى : « أصل المفازة : مهلكة، فتفاءلوا بالسلامة والفوز كقولهم للملدوغ سليم ، والسليم : المعافى »[1].

ففى هذه الدراسات المتفرقة ألفينا المبرد يبين المعنى اللغوى والبيانى للاستعارة ، وأنها تعتمد على التشبيه ، وقد درس أمثلة كثيرة للاستعارة التصريحية بنوعيها : الأصلية والتبعية. وكذلك المكنية . وهذه الدراسة المتشعبة والتى تعتمد على التطبيق بالأمثلة أفاد منها علماء البيان فى دراسة الاستعارة .

(١) كتاب الأضداد عند الأصمعى : ٣٨ ضمن « ثلاثة كتب فى الأضداد » وانظر . العمدة ٢/ ٢٦٠ ، والمثل : « أبصر من غراب » فى مجمع الأمثال للميدانى : ١/ ٢٠٢.

ثانيا : المجاز المركب

وهو النوع الثانى للمجاز اللغوى ،وعرف بأنه : اللفظ المركب المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلى تشبيه التمثيل للمبالغة . أى تشبيه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين ، أو أمور بالأخرى ، ثم تدخل المشبهة فى جنس المشبهة بها فى التشبيه ؛ فتذكر بلفظها من غير تغيير بوجه من الوجوه .

وهذا النوع يسمى :الاستعارة التمثيلية، لجريانها بين الهيئات المنتزعة من متعدد .وإذا شاع تداولها واستعمالها سميت : مثلاً[1] والأمثال لا تغير ؛ فيخاطب بها ـ وهو على حالها كل من المفرد والمثنى والجمع . مذكرا ومؤنثا .

وللمثل مورد .وهو المعنى الذى ورد فيه أولا، ومضرب : وهو الحالة الثانية المشبهة لمورده .

وكتاب «الكامل» حافل بدراسات كثيرة لهذا النوع من المجاز؛ ففيه الكثير من الاستعارة التمثيلية، وتطالعك الأمثال فيه كثيرا، ومعظمها مشفوع بالشرح والبيان .وفى أول الجزء الثانى من الكتاب تتوالى أمثلة كثيرة للاستعارة التمثيلية والمثل يرد فى « الكامل» كثيراً فى« الكامل» على سبيل الاستطراد، بيانا لمعنى لغوى، أو تأييدا لمثل آخر، وقد يرِد منفردا ، وأكثر الأمثال من النثر ، وقد يرد المثل شعرا .

وشرح المبرد للمثل يختلف بين الطول القصر، فهو أحيانا يكتفى

(١) انظر . المطول : ٣٧٩ ، وتجريد البنانى : ٢/ ٢٤٢ .

باللمحة الدالة [١]، وقد يسهب [٢]في شرح بعض الأمثال، أو يشير إلى أن من الأمثال ما هو قريب في المعنى من آية قرآنية[٣]، أو حديث شريف، أو بيت من الشعر .وقد ينبه المبرد على أخذ المثل من كلام الغير.

وتوسع المبرد في المثل ، فأطلقه على بعض أمثلة كل من الاستعارة التبعية، والكناية . فهو يقول:

« تقول :فلا ن عليه دين تمثيلا ، وكذا: ركبه دين ، وإنما يريد :أن الدَّين قد علاه، وقهره » [٤]فهذا من الاستعارة التبعية وعندما أورد قول الشاعر:

طوال أنضيــة الأعناقِ لم يجِـدُوا ريحَ الإمــاءِ إذا راحتْ بأزفَــارِ

قال: قوله: « طوال أنضية الأعناق» [٥].

ضربه مثلا، وإنما أراد :«طوال الأعناق» فهذا كناية عن صفة الطول.

ويبين المبرد منزلة المثل في الكلام ؛ فيجعل المثل أحد ضروبه حيث يقول:والكلام يجري على ضروب . فمنه ما يكون في الأصل لنفسه، ومنه ما يكنى عنه بغيره ، ومنه ما يقع مثلا ؛ فيكون أبلغ في الوصف»[٦].

(١) انظر : المثل : « إن الحُر حرٌ » ٣/ ٩ ، « كما تدين تُدان » ١/ ٤٣، و«أكل عليه الدهر وشرب » : ١/ ١٤٨.

(٢) انظر . المثل : « لافي العير ولا في النفير » : ١/ ٣٣٦، والمثل : « إن الشقى وافد البراجم : ١/ ١٧١.

(٣) انظر : الكامل : ١ / ٩١, ٣١٩.

(٤) المرجع السابق: ١/ ٣٧ .

(٥) المرجع السابق : ١/ ٥٧.

(٦) المرجع السابق : ٢/ ٢٩٠.

وأبو العباس لا يتعصب للقديم ؛ فيغض بالتالى من شأن المحدث، ولذا فإنه ـ كعادته ـ يستشهد للمثل بكلام كل من القدماء والمحدثين .

ومع الدراسة التطبيقية للاستعارة التمثيلية فى كتاب « الكامل» أقول:

ـ١ـ

أورد المبرد فى بداية الجزء الثانى فيضا من الأمثال فى مختلف الأغراض بدأها بقوله :

قال أبو العباس[1] : هذه أشعار أخترناها من أشعار المولدين حكمية مستحسنة يحتاج إليها للتمثل ؛ لأنها أشكل بالدهر ، ويستعار من ألفاظها فى المخاطبات والخطب والكتب . قال ابن المعذَّل :

تكلفُنِى إذْلاَلَ نفْسِي لِعزِّها
وَهانَ عليْها أنْ أُهانَ لِتكرَما

تقولُ: سلِ المعروُفَ يحْيىَ بنَ أ كثَمٍ
فقلتُ : سلِيهِ ربٌ يحيى بنِ أكثمَا

وقال محمود الورَّاق[2] :

تعْصِى الإلهَ وانْت تُظْهرُ حُبَّهُ   هذاَ مُحالٌ فى القيَاس بَديعُ
لو كاَنَ حُبك صَادقًا لأطعْتَهُ   إنَّ المحِبَ لِمنْ يحبُ مُطِيعُ

ويروى أنه ـ الشّعبى ـ أتى مسجدا ؛ فصادف فيه قوما يغتابونه ، فأخذ بعضادتى الباب ثم قال :

---

(١) الكامل : ٢/ ٣.
(٢) شاعر عباسى أكثر شعره فى المواعظ والنصائح والحكم مات فى عهد «المعتصم».

هينئًا مَرئيًا غيرَ داءٍ مخامرٍ   لعزّةَ مِن أعراضِنَا ما استَحلّتِ [(١)]

وقال محمود الورّاق :

يَا ناظرًا يرْنُو بعينَيْ راقـد   ومُشاهدًا للأمرِ غيرَ مُشاهـد

منّيتَ نفسك ضلةً وأبحتها   طُرقَ الرّجاءِ وهنّ غيرُ قواصد

تصلُ الذُّنوبَ إلى الذُّنوبِ وترتَجي   دَركَ الجنان بها وفوزَ العابد

ونسيتَ أن الله أخرج آدمَا   منهَا إلى الدنيا بِذَنبٍ واحد

وأنشد منشد من الأبيات المفردة :

إذا أنت لم تعصِ الهوَى قادَكَ الهوَى

إلى بعضِ مَا فِيهِ عليْكَ مَقَالُ

ومنها قول محمد بن وهيب :

وإنى لأرجوا الله حتى كأنّنى   أرى بجميل الظنّ ما الله صانِعُ [(٢)]

وقال إسماعيل بن القاسم: [(٣)]

يامنْ يعيبُ وعيبُهُ متشعّبُ   كمْ فِيكَ من عيْبٍ وأنتَ تَعيبُ

لله درُّك كيفَ أنْت وغـاية   يدعوكَ ربكَ عندهَا فتُجيبُ

---

(١) الشعر والشعراء : ٥١٥ ، وأمالى القالى : ٢/ ١٠٨.

(٢) روى فى عيون الأخبار : ١/ ٣٦ وفيه : بجميل الله » بدل : « بجميل الظن » .

(٣) قال ابن قتيبة « أبو العتاهية : هو إسماعيل بن القاسم مولى لعنزة ، وكان جرّارًا ، ويرمى بالزندقة ، وكان أحد المطبوعين ، وممن يكاد يكون كلامه كله شعرا ...وشعره فى الزهد كثير حسن رقيق سهل . الشعر والشعراء : ٧٩١ ـ ٧٩٤ ، وروى له المبر د فى «الكامل» : ٣/ ١٤٨ مقطوعة صدرها بقوله : « ومن حسن ما قالواه فى التشبيه قول إسماعيل بن القاسم . أبى العتاهية للرشيد : ..»

وقال:

يا عجبًا للنَّاسِ لوْ فكَّرُوا　　　وحاسبُوا أنفسَهُم أبصرُوا
وعبرُوا الدنيا إلى غيرهَا　　　فإنَّما الدُّنيا لهُم معبرُ
الخيْرُ مِمَّا ليس يخفى هوَ الـ
معَروفُ والشرُّ هُو المنكَرُ

أما قوله :

وقال يا عجبًا للنَّاسِ لوْ فكَّرُوا　　　وحاسبُوا أنفسَهُم أبصرُوا

فمأخوذ من قولهم:« الفكرة مرآة ترُيك حسنَك من قبحِك ، ومن قول لقمان لابنه : يا بنيَّ لا ينبغي لعاقل أن يخلي نفسه من أربعة أوقات: فوقت منها يُناجي فيه ربه ، ووقت يحاسبُ فيه نفسه ، ووقت يكسب فيه لمعاشه ، ووقت يخليٍّ فيه بينْ نفسهِ وبين لذَّتِها ليستعينَ بذلكَ على سائرِ الأوقاَت .

وقوله:

وعبَروُا الدنيا إلى غيرهَا　　　فإنَّما الدُّنيا لهُم معبرُ

مأخوذ من قول الحسن [1]: اجعل الدنيا كالقنطرة تجُوزُ عليها ولا تعمرُها. وقوله :

الخيْرُ مِمَّا ليس يخفى هوَ الـ
معَروفُ والشرُّ هُو المنكَرُ

(١) هو الحسن البصرى رضى الله عنه .

مأخوذ من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص قال : قال : رسول الله ﷺ : « يا عبد الله . كيفَ بك إذا بقيتَ في حُثَالة من النَّاس مَرجَتْ عُهودُهم وأماناتهم ،وصارَ النَّاسُ هكذا » ؟ وشبَّكَ بين أصابعه . فقلت: مُرني يا رسول الله . فقال: خُذ ما عرفْتَ ، ودعْ ما أنكرْت ، وعليك بخويْصة نفسك ، وإيَّاكَ وعوامَّها » (١).

(١) ورد الحديث الشريف بروايات مختلفة. فقد رواه أبو داود في سننه في :كتاب الملاحم» ٤/ ١٢٣، ١٢٤ بروايتين : الأولى هي : « حدثنا القعنبي أن عبد العزيز ابن أبي حازم حدثهم عن أبيه عن عمارة بن عمرو عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال : « كيف بكم وبزمان» أو « يوشك أن يأتي زمان يغربل الناس فيه غربلةً تبقى حثالةٌ من الناس قد مرجتْ عهودهم وأماناتهم،واختلفوا ، فكانوا هكذا »وشبَّكَ بين أصابعه؟ فقالوا : [و] كيف بنا يا رسول الله ؟ قال: تأخذون ما تعرفون ، وتذرون ما تنكرون ، وتقبلون على أمر خاصتكم ، وتذرون أمر عامتكم »: [قال أبو داود : هكذا روىَ عن عبد الله بن عمرو عن النبي ، من غير وجة] .
- ورواه ابن ماجه في سننه في « كتاب الفتن . باب التثبت في الفتنة » ٢/ ١٠٧ مع خلاف يسير لرواية أبي داود في السند والمتن ، وأولها : « حدثنا هشام بن عمار ومحمد بن الصباح قالا : ثنا عبد العزيز بن أبي حازم حدثني أبي عن عمارة بن حزم عن عبد الله بن عمرو بن العاص ..»
والرواية الثانية لأبي داود برقم : ٤٣٤٣ وأولها : « حدثنا هارون بن عبد الله ... حدثني عكرمة حدثني عبد الله بن عمرو بن العاص قال : ..»
والرواية الثانية لأبي داود برقم : ٤٣٤٣. وأولها : « حدثنا هارون بن عبد الله ... حدثني عكرمة حدثني عبد الله بن عمرو بن العاص قال : ..» .
- ورويناه أحمد في مسنده : ٢/ ١٦٢ برواية : « حدثنا عبد الله حدثني أبي إسماعيل بن يونس عن الحسن أن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال لي رسول الله ﷺ : كيف أنت إذا بقيت في حثالة من الناس ...» غير أن فيها « وشبك يونس بين أصابعه يصف ذاك » .
- وروى عن عبد الله بن عمر مختصرا في الفائق (حثل) : ١/ ٢٦٠ ، وفي اللسان عن عبد الله بن عمرو في (حثل) ، وعن عبد الله في (مرج) .
الحثالة : الرديء من كل شئ . قال أبو عبيدة : الحفالة ، والحثالة : واحد وهي من التمر والشعير وما أشبهها : القشارة منه، وحثالة الناس : رذالتهم. أمالي القالي : ٢/ ٢٣٤ ، والفائق ، واللسان (حثل). ومرج : اضطرب . يقال: مرِجَ الأمر مَرَجًا فهو مارج ومرِج : التبس واختلط . الفائق واللسان : (مرج).

قوله ﷺ « فى حُثـالة من الناس » أما الحثالة فهـو ما يبقى فى الإناء من ردئ الطعـام ، وضربه مثـلا . وقوله : « مَـرجتْ عُهـودهم » يقول: اختلطت ، وذهبت كل مذْهب .

وقرب نهاية «الكامل» [1] يورد أبوالعباس « من مختصرات الخطب وجميـل المواعظ والزهد فى الدنيا» كثيرا من النصوص ليصل بـها ما كان قد بدأ به ـ كما قال [2] ـ ومنها قوله:

« ويروى أن على بن أبى طالب ـ رضـوان الله عليـه تمـثل عند قبـر فاطمة ـ رحمها الله : -

لكُلّ اجتـمـاع من خَليلَيْـن فـرقَـةٌ ... وإنَّ الّـذى دُونَ الفـراق قلـيلُ

وإن افـتـقَـادِى وَاحـداً بعـد واحــدٍ ... دلِيـل عَـلي أن لاَ يـدُومَ خَليلُ

وتمثلـت عائشة ـ رحـمهـا الله ـ عند قبـر عبد الرحـمن بن أبى بكر قول متمم بن نويرة :

وعشْنا بـخير فى الحـياة وقـبلَنَا ... أصابَ المنَايَا رهطَ كـسْرَى وتبَّـعا

وكنَّا كندْ مـاَنَىْ جذُيمـةَ حـقبـةً ... مِنَ الدَّهرِ حتـى قيل لَنْ يتـصدَّعـا

فلمـا تفـرقْنَا كـأنّى ومـا لِكـاً ... لِطول اجْتـمـاعٍ لمْ نِبتْ ليلةً معًـا [3]

---

(١) جـ ٤ ص ١٧ ، ١ / ٧ وما بعدها .

(٢) الكامل : ١/ ٤ وما بعدها .

(٣) الكامل : ٤/ ٣٠ , ٣١ . وفى جمـهرة أشعـار العرب : ٥٩٩ وأمـالى الزجاجي : ٥٨ ، والمؤتلف والمختلف : ٤٦٦ ، والاقتـضاب : ٣/ ٣٨٧ روى . البيت الثانى «وكنَّا كندمـانى ...» متـقـدما على البـيـتين ، وجـاء متأخـرا عنهـمـا فى رواية المفضليات : ٢٦٧ وفـيها : « الندمان : النديم . أراد: مالكا وعـقيلاً ابني فارج بن كعب من بنى القين بن جسر بن قضاعة . نادما جذيمـة الأبرش حين ردا عليه ابن أخته عمرو بن عدى ؛ فحكمها ؛ فاختارا منادمته ؛ فكانا نديمه دهرا . ثم قتلهما . ولا عجاب عمر بن الخطاب بهذا الرثاء فإنه قال لمتمم :«لوددتُ أنك رثيْتَ أخي زيداً بمثل ما رثيت به أخاك ». معجم الشعراء للمرزبانى : ٤٦٦ .

فهذا الشعر نقل من مقام إلى مقام آخر مماثل على سبيل الاستعارة التمثيلية.

.٢.

وفى كتاب « الكامل» أمثلة كثيرة للاستعارة التمثيلية مشفوعة بالتحليل والبيان . وقد أخذها عن المبرد كثير من العلماء .

فقد روى قول الشماخ [١] يمدح « عرابة» :

رأيتُ عرابةَ الأوسىَّ يسمُو ... إلى الخيراتِ منقطعَ القَرينِ
إذا ما رايةٌ رفِعَتْ لمجدٍ ... تلقَّاها عرابةُ باليمينِ

ثم قال :قوله:« تلقَّاها عرابةُ باليمينِ»قال أصحاب المعانى [٢] :معناه: بالقوة وقالوا مثل ذلك فى قوله تعالى :﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِه﴾ [٣] . [٤] حكى المبرد عن أصحاب المعانى تفسير اليمين بالقوة فى كل من الآية الكريمة ، والبيت ؛ فالمجاز فى اللفظ المفرد .

---

(١) ديوانه : ٣٣٥ . والمبرد ترك بيتا بين البيتين وهو :

أفادَ محامداً وأفاد مجداً ... فليْس كجامد لحزِ ضَنين

«قال المبرد :« وكان سببٍ ارتفاع « عرابة » أنه قدم من سفر ، فجمعه الطريق ، والشماخ بن ضرار المرى ؛ فتحادثا ؛ فقال له عرابة : ما الذى أقدمك المدينة ؟ قال : قدمت لأمتار منهاً ، فملأ له عرابة رواحله براً وتمرا ، وأتحفه بغير ذلك . فقال الشماخ « الأبيات».

(٢) قال ابن عباس : « بيمنيه» . بقدرته يوم القيامة ، وكلتا يدى الله يمين» تنوير المقباس : ٢٨٩ ، وفى قوله تعالى : ﴿ولو تقوَّلَ علينا بعضَ الأقاويلِ * لأخذنا منه باليمينِ﴾ [الحاقة : ٤٤، ٤٥] يقول : بالحق والحجة . ويقال : أخذناه بالقوةَ » تنوير المقياس من تفسير ابن عباس : ٢٦٦ .

ويقول ابن قتيبة ».. و إنما أقام اليمين مقام القوة لأن قوة كل شئ فى ميامنه » . تأويل مشكل القرآن: ١٥٤.

(٣) سورة الزمر . الآية : ٦٧.

(٤) الكامل : ١/ ١٢٨ ، ١٢٩.

ولكن المعنى فى كل منهما على ما تؤديه الصورة التركيبية من المعنى والتصوير وهو لا يكون إلاَّ بمجموع الكلام فى كل منهما .

فالشماخ يصور « عرابة» فى حرصه على المبادرة إلى سبل المجد بكل ما أوتى من قوة ، ومال وغير ذلك .

والآية الكريمة تشير إلى عظمة الله ـ سبحانه ـ وقدرته ، وصنعه يوم القيامة فى السموات والأرض . قال تعالى :﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ [1].

فالمراد بالمجاز: جملة ﴿ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾لا لفظ «يمين»وحده .

والإمام عبد القاهر ذكر ما قاله أبو العباس ثم بين أن المعنى فى المثالين على التمثيل المستفاد من جملة الكلام حيث قال :

« إذا أريد باليد :القدرة فهى إذاً أحنُّ إلى موضعها الذى بدئت منه، وأضبث [2]بأصلها ؛لأنك لا تكاد تجدها تراد مع القدرة إلا والكلام مثل صريح. ومعنى القدرة منتزع من اليد مع غيرها ،أو هناك تلويح بالمثل.. فأما أن تكون اليد فيه للقدرة على سبيل التلويح بالمثل ،دون التصريح حتى ترى كثيرا من الناس يطلقون القول أنها بمعنى القدرة ، ويجريها مجرى اللفظ يقع لمعنيين ، فكقوله تعالى :﴿ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ تراهم يطلقون أن اليمين بمعنى القدرة ، ويصلون إليه قول الشماخ :

---

(١) سورة الزمر . الآية : ٦٧ .

(٢) ضبثْتُ بالشئ ضبثًا ...إذا قبضْتَ عليه بكفك والضَّبْث: قبضكَ بكفك على الشئ اللسان.« ضبث» والمراد : أن تأويل اليد بالقدرة رجوع إلى أصل المعنى فيها .

إذَا مــا رايةٌ رُفِــعتْ لمــجـدٍ تـلقَّــاهَا عــرابةُ باليَمــينِ

كما فعل أبو العباس فى الكامل ، فإنه أنشد البيت ، ثم قال :« قال أصحاب المعاني : معناه بالقوة ، وقالوا مثل ذلك فى قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ وهذا منهم تفسيرٌ على الجملة[1]. وقصدٌ إلى نفى الجارحة بسرعة خوفا على السامع من خطرات تقع للجهال وأهل التشبيه ـ جل الله وتعالى عن شبه المخلوقين ـ ولم يقصدوا إلى بيان الطريقة ، والجهة التى منها يحصل على القدرة والقوة. وإذا تأملت علمت أنه على طريقة المثل».

ويبين عبد القاهر أن محصول المعنى على القدرة، وأننا نصير إليها من طريق التأويل والمثل « فكأن المعنى ـ والله أعلم ـ أنه ـ عز وجل ـ يخلق فيها صفة الطىّ حتى ترى كالكتاب المطوىِّ بيمين الواحد منكم وخصى اليمين لتكون أعلى وأفخم للمثل »[2].

بيّن الإمام عبد القاهر حسن قصد أصحاب المعانى فى تأويل اليمين بالقدرة دفعا للمشبهة ،والمجسمة، والجهال فى التأويل بالجسمية. ثم بين الطريقة المثلى فى بيان المعنى، وأنها على المجاز

(١) أي دون إمعان نظر ، وطول تأمل لما تؤدية الصورة التركيبية من مجموع كلمات الآية.
(٢) أسرار البلاغة : ٢/ ٢٢٤ ـ ٢٢٦.

(٣) هم الذين يزعمون التجسيم والتشبيه فى حق الذات العلية : ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ (الإسراء :٤٣) وهؤلاء فرق فى مقدمتهم : الهشامية ، واليونسية . فالهاشمية نسبة إلى كل من :هشام بن الحكم الرافضى ، وهشام بن سالم الجواليقى . فقد لقى أبو الهذيل العلاف أولهما فى مكة عند جبل أبى قبيس ؛ فسأله : أيهما أكبر: معبوده أم هذا الجبل ؟ فأشار إلى أن الجبل يوفى عليه ـ تعالى ـ وأن الجبل أعظم منه ! ،وأما الثانى فإنه زعم أن معبوده على صورة إنسان ولكنه ليس بلحم ولادم ، بل هو نور ساطع بياضا .. وهذه الفرق ضلت فى بدعة التجسيم والتشبيه ـ الفرق بين الفرق : ٦٥ ـ ٧٠ ، انظر شرح البيجورى على جوهرة التوحيد : ٨١.

المركب فى كل من الآية الكريمة ،والبيت.

وكان بيان الزمخشرى لهـذا التأويل بأسلوب واضح، وقدترسم فيه خطى الإمام فقـال:«والغرض من هذا الكلام إذا أخذته كمـا هو بجملته ومجموعـه : تصوير عظمته . والتوقيف على كنه جلاله لاغـير ،من غير ذهاب بالقبضة ، ولا باليمين إلى جهة حقيقة ، أو مجاز ...» [1].

وأقول:ما ذكره الإمامان هو الرأى، وعليه أكثر أهل العلم، فقد استظهر القاضى البيضاوى كلام جارالله الزمـخشرى ؛ فذكـر أن المعنى وارد على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة، واليمين حقيقة أو مجاز.

وأجرى الشهاب الخفاجى [2]هذه الاستعارة ، وبين نوعها بقوله:

« مثَّل حـال عظمتـه ، ونفاذ قـدرته بحال من يكون له قـبضـة فيـها الأرض، ويمـين بهـا تطوى السمـوات ...واعلم أن المـراد :اسـتعـارة تمثـيلية تخييـلية ؛ فإن التمـثيل يكون بالأمور المـحققة كـما فى : أراك تقدم رجلا وتؤخر أخـرى ، ويسمى تخييلا تحقيـقا، وقد يكون بالأمور المفترضة ، وفرض المعانى من الحقيقة » .

فمعـنى الآية على المجاز المركب يكون باعـتبار مجـموع الكلام، لابكلمة «يمين » وحدها ، والله أعلم .

وقد قرن فى بعض التفاسير هذه الآية الكريمة مع آية الكرسى [3]

---

(١) الكشاف : ٣/ ٤٠٨ ونقله الخطيب فى الإيضاح : ٣/ ١٤٨.

(٢) حاشية : ٧/ ٢٥١ وبالهامش : « تفسير البيضاوى »

(٣) وهى قوله تعالى : ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾.سورة البقرة . الآية : ٢٥٥

لبيان المجاز فيها، أنه من قبيل التمثيل المركب .

يقول الزمخشري :[1] وفي قوله :﴿وَسِعَ كُرسِيُّه ﴾أربعة أوجه.

أحدها: أن كرسيَّه لم يضق عن السموات والأرض؛ لبسطته وسعته وما هو إلا تصويرلعظمته وتخييل فقط ، ولاكرسيَّ ثمة، ولا قعود ، ولا قاعد كقوله : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾من غير تصور قبضة وطيّ ويمين . وإنما هو تخييل لعظمة شأنه وتمثيل حسيّ . ألا ترى إلى قوله : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾

والثاني : وسع علمه ،وسمى العلم كرسيًّا تسمية بمكانه[2] الذى هو كرسى العالم .

والثالث: وسع ملكه ، تسمة بمكانه[3] الذى هو كرسيّ الملك .

والرابع : ما روى أنه خلق كرسيًّا هو بين يدى العشر دونه السموات والأرض، وهو إلى العرش كأصغر شئ » .

ونقل البيضاوى هذه التأويلات بإيجاز ، فقال : « تصوير لعظمته ، وتمثيل مجرد . كقوله تعالى : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ ولا كرسى ثمة ولا قعود، ولاقاعد ، وقيل ...» .

ووجهه الشهاب بقوله: قوله :«تصوير لعظمته وتمثيل إلخ» إشارة

(١) الكشاف : ١/ ٣٨٥.

(٢ ,٣) فهو مجاز مرسل علاقته المحلية . وانظر : البيان عند الشهاب الخفاجى . القسم الثانى : ٢٢٤.

إلى أنه استعارة تمثيلية. والتخييل نوع من التمثيل إلا أنه تمثيل خاص بكون المشبه به فيه أمرا مفروضا . وما يقال : إن التمثيل : تشبيه قصة بقصه ، والتخييل تصوير حقيقة الشئ .. والحاصل أنه استعارة تمثيلية كما في جعل الأرض فى قبضته» [1] سبحانه وتعالى .

ونقل أبو حيان [2] (ت ٧٥٤ هـ) الأوجه التى ذكرها الزمخشرى ، وفيها قوله تعالى : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾.

ـ وقال المبرد :

« إن العرب [3] وأهل الحكمة من العجم [4] تجعل كل دليل قولا ؛ فمن ذلك قول زهير :

«أمِنْ أُمِّ أوْفَى دِمْنَةٌ لم تكلَّم » [5]

وإنما كلامها عنده : أن تُبِين بما يرى من الآثار فيها من قدم أهلها، وحدثان عهدهم .

ويروى عن بعض الحكماء [6] أنه قال: هلاَّ وقفت على المعاهد

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجى : ٢/ ٣٣٥.

(٢) البحر المحيط . المجلد الثانى : ٢٨٠.

(٣)روِى الجاحظ فى البيان والتبيين : ١/ ٨١, ٨٢ قول بعض الخطباء، وكذلك شِعرا للراعِي يفيد كلاهما أن السموات والأرض شاهدة بربوبية الله، ثم روى قونصيب :

فعاجوا فأثنوا بالذى أنتَ أهلهُ ولو سكتوا أثنتْ عليك الحقائبُ

(٤) من ذلك قول خطيب ، وهو الموبذ ـ قاضى قضاتهم ـ عندما قام على سرير الإسكندر يرثيه :« الإسكندر كان أمس أنطق منه اليوم ، وهو اليوم أو عظ منه بالأمس».

(٥) هذا مطلع معلقته . والشطر الثانى :

« بحوْمانة الدرّاج فالمتثلمِ»

(٦) هو الفضل بن عيسى الرقاشى .انظر . البيان والتبيين : ١/ ٨٢ ، ٣٠٨ ، والحيوان : ١/ ٣٥ ، وأسرار البلاغة:١/ ١٠٤.

والجنان ؟ فقلت : أيتـها الجنان . منْ شقَّ أنهاركِ ، وغـرسَ أشجاركِ ، وجنَى ثماركِ . فإن لم تجبْكَ حواراً أجابتك اعتبارًا!.

وأهـل الـنظـر[1] يقـولون في قـول الله ـ عز وجل ـ ﴿ قـالتـا أتينا طائعـين﴾ [2]لم يكن كلام، وإنما فعل الله ـ عـز وجل ـ ما أراد ؛ فوجد . قال الراجز :

قـد خنَق الـحـوضُ وقَـال قَطنْي مــهـلاً رويداً قـد مــلأتُ بطني

ولم يكن كلام ، وإنما وجد ذلك فيه .

فـالدِّمنة[3] والمعاهد والجنان والحوص كلٌ منهـا دالٌّ بنَصْبته على ما عناه القائل ولم يكن ثمة كلام ؛ فدلالة الحال بمنزلة الكلام في البيان. وفي حاشيـة الصبان[4] : «فالحوض لا يتكلم، ولكـن لما أريد به نهاية الامتلاء التي لا يزاد عليها، فكأنه قد تكلم بذلك »

وبين الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) المراد بالبيان ، وأن دلالة النَّصبَة أحد دلالته ؛ فقال : « والبيـان: اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضـمير حتى يفضـي السامع إلى حقيقـته ويهجم على محـصوله كـائنا ما كـان ذلك البيان ، ومن أي جنس كـان الدليل؛ لأن مدارالأمـر والغاية التي يجري إليهـا القائل والسامع إنمـا هو الفهم والإفهام . فـبأي شئ بلغت الإفهام ، وأوضحت عـن المعنى فذلك هو

(١) انظر . مجاز القرآن ٢/ ١٩٦ ، تأويل مشكل القرآن : ١٠٧.

(٢) سورة فصلت : الآية : ١١.

(٣) دمنة الدار:أثرها والدمنة : آثار الناس وما سوَّدوا ..والجمع دِمنٌ» اللسان (دمن).

(٤) جـ ١ ص : ١٢٥.

البيان فى ذلك الموضع.. وجميع أصناف الدلالات على المعانى من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد . أولها : اللفظ ، ثم الإشارة ، ثم العقد ، ثم الخط ، ثم الحال التى تسمى : نِصبة» [1].

وبين الجاحظ هذه الدلالات بإفاضة . ومما قاله عن النصِّبة :

«هى الحال الناطقة بغير اللَّفظ ، والمشيرة بغير إليد . وذلك ظاهر فى خلق السموات والأرض ، وفى كل صامت وناطق وجامد ونام ، ومقيم وظاعن ، وزائد وناقص . فالدلالات هى فى الموات الجامد كالدلالة التى فى الحيوان الناطق . فالصامت ناطق من جهة الدلالة، والعجماء معرِبة من جهة البرهان » .

ثم روى قول الفضل بن عيسى السابق .

والراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢ هـ) جعل الدلالة على الشئ من معانى القول، واستشهد بقول الراجز فى الحوض [2]، ونقله عنه الفيروزابادى فى « بصائر ذوى التمييز » [3].

وأما قوله تعالى : ﴿ قالتا أتينا طائعين ﴾ فهو فى سياق الآيات[4] التى تبين بعض مظاهر قدرة الله ـ سبحانه ـ فى خلق السموات والأرض،وانقيادهما له ، وتذكرنا ببعض آلائه ـ سبحانه ـ فيها .

ومنها : أن الله ـ تعالى ـ بعد أن خلق الأرض تعلقت قدرته بخلق

---

(١) البيان والتبيين : ١/ ٨٠ ـ ٨٢.
(٢) المفردات فى غريب القرآن (قول» .
(٣) جـ٤ ص ٣٠٤ . (بصيرة فى قول) .
(٤) سورة فصلت : (٩ ـ ١٢) .

السموات وكانت على هيئة دخـان ؛ فأمرهما بالتكوين؛ فكانتا . عن ابن عبـاس قال: [1]« قال الله ـ تعالى ـ للسموات : أطـلعى شمسى وقمرى ونجومى . وقال للأرض : شققى أنهـارك ، وأخرجى ثمارك . فقالتا : ﴿ أتينا طائعين ﴾.

وقد تردد المعنى بين الحقيقة ،والمجاز بنوعيه: المفرد والمركب . ولكن رُجح القول بالحقيقة . وبيان ذلك .

أولاً :المجاز:

١ ـ يقال : شبـه سرعة تكوين السماء والأرض كـما أراد الله بالقول والإتيان بـجامع سرعـة الامتـثال فى كلٍّ . ثم اسـتعـير القـول، والإتيان لذلك، واشتق منه: قال ، وأتى ثم أصيفا إلى الضمير. **فالاستعارة تبعية.**

٢ ـ أو يقال: شـبهتا بإنسـان مطيع لأمر ذى جبروت نافـذ أمره . ثم استعير لهما : الإنـسان للدلالة على هذا المعنى ، ثم حذف ورمز إليه بشئ من لوازمه وهو الطوع . ثم اشتق منه طائعين **فهو استعارة تخيلية** قرينة المكنية . هذا على المجاز المفرد .

وأما على المـجاز المركب : فـالزمخشـرى (ت ٥٢٨ هـ) يقول : معنى أمـر السماء والأرض بالإتيـان ، وامتثالهـما : أنه ـ سبـحانه ـ أراد تكوينهـما، فلم يمـتنعا عليـه، ووجدتا كـما أرادهمـا، وكانتـا فى ذلك كـالمأمـور المطيع إذا ورد عليـه فـعل الآمر المطـاع. وهو من المجـاز الذى يسمى : التمثيل .. والغـرض تصوير أثر قدرته فى المقدورات لا

(١) انظر. جامع البيان : ٢٤ / ٦٤ ، وتفسير القرآن العظيم : ٧/ ١٥٦. وفتح القدير : ٤/ ٧٢٢.

غير من غـير أن يحقق شئ من الخطاب والجواب ، ونحـوه قول القائل :قـال الجـدار للوتد :لمِ تَشـقّنِي؟ قـال الوتـد : أسـأل من يدقّني ؛ فلم يتركني، وورائي الحجر الذي ورائي » [1].

ونقل القـاضي البـيـضـاوي (ت ٦٩١هـ) هذا الغـرض من الاسـتـعـارة بتصرف، وتولى شيخ زادة (ت ٩٥١هـ) تقريره، ثم أجـرى الاستعارة؛ فقال: «إنه من قبيل الاستعارة التمثيلية من غير أن يتحقق هنا خطاب، ولا جواب».

«شبـه تأثير قـدرته فـيـهمـا، وتأثرهما عنـها بالذات ـ أي بالمـشيـئة والاختيار ـ بأمر آمر نافذ الحكم يتوجـه نحو المأمور المطيع له، فيمتثل أمره ولا يرد قوله بالقبول والامتثال ؛ فعبـر عن الحالة المشبهة بما يعبر به عن الحالة المشبهة بها»[2].

ثانيا:الحقيقة:

وهي على أن الله ـ تعـالـى ـ خلق في السـمـوات والأرض حـيـاة، وإرادة ، فامـتثلتا بالقـول والفعل . يدل على ذلك قـوله تعالى :﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ﴾[3] ومن الأدلة : تسبيح الجبال والطير

(١) الكشاف : ٣/ ٤٤٥.
(٢) حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير القـاضي اليضاوي : ٤/ ٢٥٥ ، وأوّله كل من : الألوسي ، وأبي السعود على التمثيل متأثرين بالزمخشري انظر روح المعاني : ٢٤ / ١٠٣ وتفسير أبي السعود : ٥/ ٨ ،وقـدرّه صـاحب التحـرير والتنوير : ٢٤ / ٢٤٨ على المجاز بنوعيه ، وقدره كل من أبي عبيدة : ٢/ ١٩٦ ، والشريف المرتضى في الأمالي : ١/ ٣٠ على مطلق المجاز .
(٣) سورة الأحزاب . الآية : ٧٣.

مع دواد ـ عليه السلام ـ ونطق الجوارح على العبد يوم القيامة .قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[1] فالزمخشرى يقول: فإن قلت : كيفي تشهد عليهم أعضاؤهم، وكيف تنطق ؟ قلت : الله ـ عز وجل ـ ينطقها »[2].

وكذا تسبيح الحصى في كف النبى ـ ﷺ ـ وحنين الجذع إليه عندما صنع له المنبر وخطب عليه[3].

وإزاء هذا الخلاف نجد القرطبى :(ت ٦٧١ هـ) يرجح الحقيقة على المجاز بقوله: « وقال أكثر أهل العلم : بل خلق الله فيهما الكلام ؛ فتكلمتا كما أراد تعالى »[4].

وأوجز ابن عطية :(ت ٥٤٦هـ) ما قاله المفسرون فى هذين الرأيين،ولكنه رجح الحقيقة ومما قاله: « ..قالت فرقة : نطقت حقيقة ..، وقالت فرقة : هذا مجاز ... والقول الأول أحسن ؛ لأنه لا شئ يدفعه،وإنما العبرة به أتم ، والقدرة أظهر ..[5]

فالقول بالحقيقة أولى ؛ لأنه المتبادر من الآية الكريمة والمخبر هو الله القادر ،وله ـ سبحانه ـ فى خلقه شئون . وسبق آنفا أن الزمخشرى فسر آية أخرى بالحقيقة . وإن كان هذا لا يمنع المجاز غير أن القول بالحقيقة أولى وأسلم ما استطعنا إلى ذلك سبيلا ـ والله أعلم ـ .

---

(١) سورة فصلت : الآية :٢١ .
(٢) الكشاف : ٣/ ٤٥٠.
(٣) انظر .شرح البيجورى على جرهرة التوحيد : ١٢٧ .
(٤) الجامع لأحكام القرآن : ١٥ / ٣٤٤.
(٥) المحرر الوجيز : ٥/ ٧ ونقل أبو حيان فى البحر المحيط : ٧/ ٤٨٦ قول ابن عطية، ثم ثنى بالزمخشرى ، وأشار ابن كثير فى تفسيره : ٧/ ١٥٦ إلى الرأيين.

المثل :

قلت : [1]إن الاستعارة التمثيلية إذا شاعت صارت مثلا .

والمثل قول يشبه مضربه بمورده وقد وردت أكثر الأمثال متناثرة حسب اقتضاء المقام.

وصنيع المبرد نحوها يختلف .

فقد يقتصر على بيان المعنى فقط ومن ذلك قوله: «ومن أمثال العرب: « من عزّ بزّ» وتأويله : من غلب استلب [2].

وقوله : « من أمثال العرب : لم يذهب من مالك ما وعظك » يقول: إذا ذهب من مالك شئ فحذّرك أن يحل بك مثله، فتأديبه إياك عوض من ذهابه» [3].

وكثيرا ما يبين المبرد معنى المثل ، ومضربه فيقول :«ومن أمثال العرب :«إن ليُسِرٌّ حسْوًا فى ارتغاء» ومعنى ذلك، وأنه يوهمك أنه يأخذ بفيه تلك الجلدة من اللبن ؛ ليصلحه لك، وإنما هو يحسو من تحتها. يضرب هذا المثل لمن يريك أنه يعينك وإنما يجترُّ النفع إلى نفسه».

ويورد أبو العباس قول أبى زيد الأسلمى:

« وحلبتُ الأيّام والدهرَ أضرعًا »

ويتبعه بقوله:« إنه مثل . يقال للرجل المجرب للأمور: فلان قد

---

(١) انظر : ص : ٥٤.

(٢)الكامل : ١/ ١٤٨ ، ٣/ ٧١ ، وانظر :. «ربّ عجلة تهب ريثا » ، و« أن ترد الماء بماء أكيس » : ١/ ٢٠٥.

(٣) المرجع السابق:١/ ٢٠٥ .

حلب الدهر أشطره » أى قاسى الشدة ، والرخاء ، وتصرف فى الفقر والغنى »[1].

وأحيانا يذكر المبرد مورد المثل ومضربه . فيقول : « وحُدثت أن الحسن نفى سابق الحاج ، وقد أسرع ، فجعل يومئ إليه بإصبعه فعْل الغازلة، وهو يقول : « خرقاء وجدت صوفا» وهذا من أمثال العرب . يضربونه للرجل الأحمق الذى يجد مالا كثيرا ؛ فيعيث فيه»[2].

وقد يورد المثل شعرا ثم يقرنه بمثل آخر توضيحا لمعناه ، فقد أورد شعرا لحارثة بن بدر فى رثاء زياد ، ومنه قوله :

الناسُ بعدكَ قد خفَّتْ حلُومُهم كأنمَّا نفختْ فيهَا الأعاصيرُ

ثم يقول فى الشطر الثانى: هذا مثل ، وإنما يراد : خفة الحلوم . والإعصار فيما ذكره أو عبيدة :[3] ريح تهب بشدة فيُما بين السماء والأرض .

ومن أمثال العرب : « إن كنت ريحًا فقد لاقيْتَ إعصاراً » . يضرب للرجل يكون جلداً ؛ فيصادف من هو أجلد منه»[4].

وقد يقرن المبرد مثلين فأكثر ، لاتفاقهما فى المضرب فقد أورد قول الفضل بن جعفر :

---

(١) المرجع السابق : ١/ ٩١.

(٢) المرجع السابق : ١/ ٢٤٣ ويضرب للذى يفسد ماله. مجمع الأمثال : ١/ ٤١٨.

(٣) قال: « الإعصار : ريح عاصف تهب من السماء كأنه عمود فيه نار». مجاز القرآن : ١/ ٨٢ .

(٤) الكامل : ١/ ٣١٩.

يـاوزراَء السُّلْطـان　　آنتُـم وآلَ خـاقـان
كبعضٍ ما رُوِينَـا　　فـى سـالفَـات الأزمْـان
مـاءٌ ولا كـصُـدَّى　　مَـرْعـى ولا كـالسَّعْـدان

ثم أتبعـه بقـوله :« وهذه الأمثـال ثلاثة منهـا قـولهم : «مـرعى ولا كالسـعدان » ، و«فتًى ولا كمـالكِ» و«ماء ولا كصْـدَّى » . تضرب هذه الأمثال للشئ الذى فيه فضل، وغيره أفضل منه »[(١)].

المثل بين الإمكان والاستحالة :

ومن الأمثال ما يمكن تحقيـقها ، ومنها ما يندر ؛ لأنه صعب المنال ، ومنها ما هو محال .

ففى اللغـة أمثـال كثيـرة يمكن تحقـيقهـا . أى تنفيذها مـضمـونها ؛ فتضرب على سـبيل النصح مثل : « عشٌ ولا تغْتر» . فالمـبرد يبين مورد هذا المثل بقـوله «: وأصل ذلك أن يمرَّ صاحـب الإبل بالأرض الكلئة ، فيقول : أَدَعُ أن أعشِّىَ إِبلى حتى أرد على أخرى ، ولا يدرى ما الذى يرد عليه »، وقـريب منه قولهم : « أن تـردَ الماء بماء أكـيس» . وتأويله : أن يمر الرجل بالمـاء فلا يحمل منه اتكالا على ماء آخـر يصير إليه ، فـيقال له: أن تحمل معك ماءً أحزم لك ، فإن أصبت ماءً آخر لم يضرك»[(٢)].

فمن السهل تحقيق مضمونذلك طلبا للسلامة.

ومنها مـا يرد على سبيل الإرشـاد والوعظ مثل :« كـما تدين تُدان»

(١) المـرجع السابـق: ١/ ٩، وفى ص : ٨ يقول المـبـرد : « السَّعـدان : نبت كـثيـر الحسك تأكله الإبل ؛ فتسمن عليه ، ويغذوها غذاء لا يوجد فى غيره ».
(٢) الكامل : ١/ ٢٠٥.

أى كما تفعل تجازى . ولهذا المثل أثره عند ذوى الألباب .

ومن المثل ما يندر تحقيقه لكون مضمونه عسراً عزيزاً ، ومنه مالا يمكن ذلك؛ لأنه مستحيل . وهذا النوع قليل .

قال المبرد:«ومن أمثال العرب »[1]: «هو أعزُّ من بيْض الأنُوُق» وتقول العبر لمن يطلب الأمر العسير :« سألتنى بَيْض الأنوق »وذلك أنها تبيض فى رءوس الجبال ؛ فلا يكاد يوجد بيضها ؛لبعد مطلبه وعسره » .

فإن سأله محالا قال :« سألتنى الأبلق العقُوق »وإنمنا هو الذكر من الخيل ويقال فرس عقُوق إذا حملت، فامتلأ بطنها.فالأبلق العقوق محال » [2].

المثل الأول : يضرب للشئ النادر ، أو الذى يعسر الحصول عليه.

يقول الميدانى : « الأنوُق : الرَّخمة ، وعز بيضها لأنه لا يظفر به ؛ لأن أوكارها فى رءوس الجبال ، والأماكن الصعبة البعيدة»[3].

أما الثانى فإنه يضرب للشئ المحال ، فالأبلق العقُوق لا وجود له ، فهو على حد قوله تعالى :﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [4]أى : لا تصعد أعمالهم ، وإنما خص الجمل من بين سائر الحيوانات [5]لأنه أكبر جسما عند العرب ، وثقب الإبرة أضيق المنافذ؛

---

(١) المرجع السابق : ١/ ٣٢٨ .
(٢) المرجع السابق : ٢/ ٢٧١.
(٣) مجمع الأمثال : ٢/ ٣٩٠ ،وانظر أمالى القالى : ٢/ ١٢٨.
(٤) سورة الأعراف الآية ٤٠.
(٥) معانى القرآن : ١/ ٣٧٩ .

فكان ولوج الجمل فى تلك الثقبة الضيقة محالا؛ لأن المعلق على المحال محال، وهذا تيئيس لهم من دخول الجنة إلا أن يتوبوا ويسلموا لله ربِّ العالمين.

يقول القرطبى (ت ٦٧١ هـ) : والجمل لا تلج الجمل ، فلا يدُخلونها ألبتة» [1].

فالمبرد ذكر كثيرا من أمثلة الاستعارة التمثيلية ، وأتبع بعضها بالتحليل والبيان ، كما أورد كثير من الأمثال وبين المضرب والمورد ، وكذا المناسبة لها . والأمثال تختلف نثرا وشعرا وإن منها ما يمكن تحقيقه، أو يندر ومنها ما يستحيل إلى غير ذلك .

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٧/ ٢٠٦ ، وانظر . الكشاف : ٢/ ٧٨ ، والمحرر الوجيز : ٢/ ٤٠٠.

الفصل الثانى

المبرد بين التأثر والتأثير فى المجاز اللغوى

عنى محمد بن يزيد المبرد منذ حداثة سنه بطلب العلم،والتلقِّى عن شيوخ عصره ، كما كان دائب البحث،كثير الاطلاع ؛ فغدا موسوعة فى علوم العربية ، ولما كان للمبرد من مكانة علمية فقد شدت إليه الرحال، وتلقى طلاب العلم مؤلفاته بالإعجاب والتقدير ، فانتفع بعلمه الكثير على اختلاف ثقافاتهم ، وتعدد اتجاهاتهم العلمية.

وسأشير فى هذا الفصل إلى بعض من تأثر بهم المبرد، ومن تأثروا به.

المبحث الأول

تأثر المبرد بغيره من العلماء

١ ـ كان لأبى زكريا . يحيى بن زياد بن عبد الله الفَرَّاء (ت ٢٠٧ هـ) أثره الواضح عند المبرد . فالفراء يقول فى قوله تعالى :﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ ﴾: «حدثنى عمرو بن أبى المقدام عن الحكم عن مجاهد قال: « ثناء حسنًا » ويقول المبرد فى هذه الآية الكريمة: «قال المفسرون .. أريد باللسان : الثناء الحسن ؛ فإنه يبقى طويلا ، بخلاف اللسان»[1].

ويقول الفراء فى قوله تعالى : ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ (يصلح «على» بمعنى «فى» وإنما صلحت « فى»، لأنه يرفع فى

(١) معانى القرآن : ٢/ ٨٧ ، والكامل : ٢/ ٣٨١.

الخشبة فى طولها ، فصلحت «فى » وصلحت «على» لأنه يرفع فيها ؛ فيصير «عليها » فيفيد المبرد من هذا التعليل ؛فيقول :« وحروف الخفض ينوب بعضها عن بعض إذا وقع الحرفان فى معنى فى بعض المواضع »[1].

ويذكر الفراء وجوها فى المراد بلفظ « أعناق» من قوله تعالى: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾فيكون لهذه الوجوه صدى عند المبرد[2].

٢ ـ وكان لأبى عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠ هـ) أثر كبير عند علماء اللغة وبخاصة عند علماء البلاغة . فالمطلع على كتاب « الكامل» يجد أن مؤلفه تأثر فيه كثيراً بأبى عبيدة فى « مجاز القرآن» فقد صرح كثير بالأخذ عنه ، وأشار إليه ضمن علماء اللغة بقوله:« وقال المفسرون» ، وتصرف المبرد فى« عبارة أبى عبيدة أحيانا .

فالمبرد يقول : « قال أبوعبيدة» : «الإعصار: ريح عاصف تهب من الأرض إلى السماء كأنه عمود نار »[3].

وفى قوله تعالى : ﴿ يا أيها المزمل﴾ يقول أبو عبيدة : « مجازها : المتزمل. أدغمت التاء ، فثقلت . المتزمل عند العرب : الملتف بثيابه»، فيقول المبرد:«... وهوالمتزمل بثيابه . والتاء مدغمة فى الزاى »[4]

ويتأثير المبرد بأبى عبيدة فى نيابة حروف الخفض بعضها عن بعض غير أن المبرد يزيد المعنى وضوحا وبيانا[5] .

(١) معانى القرآن : ٢/ ٨٦ ، والكامل : ٣/ ٩٧.
(٢) معانى القرآن : ٢/ ١٧٣ ، والكامل : ٢/ ١٤١.
(٣) مجاز القرآن : ١/ ٨٢ ، والكامل : ١/ ٣١٩.
(٤) مجاز القرآن : ٢/ ٢٧٣ ، والكامل : ١/ ٣١٩.
(٥) مجاز القرآن : ١/ ٢٣ ، والكامل : ١/ ٣٢٨.

وأكتفى بهذه الأمثلة . فى هذا المقام .

٣ ـ وكان لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) أثر كبير عند المبرد ، فقد ذكر فى الكامل : « أن العرب وأهل الحكمة من العجم تجعل كل دليل قولا» وروى عن بعض الحكماء قوله : « أيتها الأرض : من شق أنهارك، وغرس أشجارك ، وجنى ثمارك ...؟ » ثم أورد شواهد آخرى دالة على المراد ، وأن لم يكن ثمة كلام. ؛

والمبرد يعنى بهذا ما ذكره الجاحظ عن بعض الشعراء وغيرهم من العرب ، وكذا ما رواه الجاحظ عن « الفضل بن عيسى الرقاشى »فى غير غير موضع من كتابه فى هذا المعنى [١].

والمتأمل فى الكتابين يجد مظاهر التأثر والتأثير كثيرة بين هذين العالمين الفاضلين .

(١) انظر . الكامل : ٢/ ٩٠ ، ٩١ ، والبيان والتبيين : ١/ ٨١ وما بعدها ، ٣٠٨.

المبحث الثاني

ثانيا : تأثيره فى غيره من العلماء

وكان لأبى العباس أثره الواضح فيمن بعده من العلماء من لغويين وأدباء ومفسرين إلخ، فكثيرا ما صرح هؤلاء العلماء بالنقل عنه واستشهدوا بآرائه ، وسأعرض لبعض من تأثروا به فى المجاز العقلى .

١ـ فالعالم اللغوى . أبو إسحاق إبراهيم بن السَّرِىّ . الزجاج يتأثر بالمبرد فى كتابه « معانى القرآن وإعرابه» .وأورد هنا عبارة تأثر فيها الزجاج بكل من أبى عبيدة ،والمبرد. ففى بيانه لمعنى « إعصار»[1] يقول: «الإعصار: الريح التى تهب من الأرض كالعمود إلى نحو السماء، وهى التى يسميها الناس : الزَّوبعة ، وهى ريح شديدة . لا يقال : إنها إعصار حتى تهب بشدة . قال الشاعر :

« إن كنت ريحا فقد لاقيت إعصارًا » [2]

٢ ـ والإمام عبد القاهر الجرجانى (ت٤٧١هـ) يقف طويلا عند قوله تعالى:﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ ، وقول الشماخ :

إذا ما راية رُفعتْ لمجدٍ تلقَّاهَا عرابةُ باليمين

ليبين أن المعنى فى كل من الآية الكريمة والبيت على التمثيل المستفاد من مجموع الكلام فيهما ، وليس من لفظ «يمين» فقط . ثم يحكى كلام أبى العباس عن أصحاب المعانى بقوله:

---

(١) من الآية : ٢٦٦ سورة البقرة .

(٢) انظر . معانى القرآن : ١/ ٨٢ ، والكامل : ١/ ٣١٩ ، ومعانى القرآن وإعرابه : ١/ ٣٤٩.

«... فأما ما تكون اليد فيه للقدرة على سبيل التلويح بالمثل، دون التصريح حتى ترى كثيرا من الناس يطلق القول أنها بمعنى القدرة،ويجريها مجرى اللفظ يقع لمعنيين فكقوله تعالى :﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾. تراهم يطلقون أن اليمين بمعنى القدرة، ويصلون إليه قول الشماخ:

إذا ما راية رُفعتْ لمجدٍ تلقَّاهَا عرابةُ باليمين

كما فعل أبو العباس فى « الكامل» ؛ فإنه أنشد البيت ثم قال: قال أصحاب المعانى : معناه بالقوة ، وقالوا مثل ذلك فى قوله تعالى : ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾وهذا منهم تفسير على الجملة ...[1]» وقد بينت ذلك [2].

٣ ـ وتأثر الزمخشرى (ت ٥٢٨هـ) فى تفسيره الكشاف بالمبردكثيرا، ففى قوله تعالى عن السماءوالأرض : ﴿ قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾[3]. يقول المبرد لم يكن كلام ، إنما فعل ـ عز وجل ـ ما أراد ؛ فوجد . قال الراجز:

قد خنق الحوضُ وقال قطنِى مهلاً رويدًا قد ملأتُ بطنِي

ولم يكن كلام، إنما وجد ذلك فيه ».

ويقول الزمخشرى : ومعنى أمر السماء والأرض بالإتيان وامتثالهما : أنه أراد تكوينهما فلم يمتنعا عليه، ووجدتا كما أرادهما، وكانتا فى

(١)أسرار البلاغة : ٢/ ٢٢٥ ، والكامل: ١/ ١٢٨ ، ١٢٩ .
(٢) ص : ٦٢ ,٦٣.
(٣) سورة فصلت : الآية : ١١.

ذلك كالمأمور المطيع إذا ورد عليه فعل الأمر المطاع، وهو من المجاز الذى يسمى التمثيل ...»

ويقول الزمخشرى فى قوله تعالى :﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ : « فإن قلت : كيف صح مجئ «خاضعين» خبرا عن الأعناق؟ قلت : أصل الكلام: فظلوا لها خاضعين ، فأقحمت الأعناق لبيان موضع الخضوع ، وترك الكلام على أصله كقوله : ذهبت أهل اليمامة . كأن الأهل غير مذكور ..» [1].

وهذه العبارة هى عبارة [2]المبرد مع تصرف يسير .فالزمخشرى يستظهر ثانى الرأيين اللذين وردا بالكامل .

وكانت عبارة المبرد، وبما حوت من لفظ « أقحمت» مع عدم لياقتها فى النظم القرآنى وبلاغته قد نقلها الزمخشرى ، ثم كان لها بعد صدًى عند كثير من المفسرين ، وأصحاب الحواشى. وقد بينت ذلك[3].

وبالتأمل يتبين لنا : أن هؤلاء العلماء متأثرون بالمبرد تأثرا غير مباشر إما عن طريق الزمخشرى ، أو القاضى بالبيضاوى والكاتبين عليه.

١ ـ فأبوحيان [4](ت٧٥٤هـ) ينقل فى تفسيره اعتراض الزمخشرى السابق وجوابه منسوبا إليه وفيه لفظ « أقحمت » الذى ذكرها المبرد.

---

(١) تفسير الكشاف : ٣/ ٤٤٥ ، والكامل : ٢/ ٩٠، ٩١.
(٢) تفسير الكشاف : ٣/ ١٠٤ ، والكامل : ٢/ ١٣٩.
(٣) انظر : ٣٦ وما بعدها .
(٤) تفسير البحر المحيط : ٧/ ٥.

٢ - والسمين الحلبى [١] ينقل عبارة الزمخشرى أيضا ، ولكن يخطئه فى المثال الذى أورده شاهدا من كلام العرب ، فيقول : « قلت: وفى التنظير بقوله: « ذهبت أهل اليمامة »نظر! ؛ لأن « أهل »ليس مقحما ألبتة ؛ لأنه المقصود بالحكم »[٢] فثمة إذًا فرق بين الشئ « أهل» ، وبعض الشئ «أعناق » . فى كل من الآية الكريمة، والمثال.

وينقل العلامة العمادى .أبو السعود (ت ٩٥١هـ) فى تفسيره عبارة الزمخشرى ثم يذكر زيادة « أعناق» وأنها « لزيادة التقرير ببيان موضع الخشوع»[٣].

٤ - ويتأثر الإمام الرازى (ت ٦٠٦ هـ) فى تفسير هذه الآية الكريمة بالمبرد ، فيقول : «وخاضعين وخاضعة هنا سواء قاله عيسى بن عمر واختاره المبرد؛ فالإخبار عن الرقاب إخبار عن أصحابها» ثم يذكرأن المعنى :«فظلوا لها خاضعين» [٤].

٥ - وينقل الإمام القرطبى (ت ٧٦١ هـ) قول الرازى السابق ؛ فيكون هو الآخر تأثر بالمبرد ولكن بطريق الإمام الرازى فى«التفسير الكبير».

---

(١) هو الإمام شهاب الدين . أبو العباس بن يوسف بن محمد بن إبراهيم . ولد بحلب ، ونسب إليها ولقب شهاب الدين وهو بحلب قبل رحيله إلى مصر ولشهاب الدين منزلته العلمية فقد ذاع صيته واقبل عليه الكثير من طلاب العلم . ولِّى تدريس القراءات فى جامع ابن طولون ، ودرس فى مسجد الشافعى . وكان يتلقى العلم على اكابر علماء عصره وفى مقدمتهم أبو حيان وله تفسيره : الدر المصون وشرح على الشاطبية . . إلخ ت ٧٥٦ هـ .

(٢) الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون : ٥/ ٢٦٧.

(٣) تفسير أبى السعود : ٦/ ٣٣٤.

(٤)التفسير الكبير . المجلد السابع : ١٣ / ٦١.

ويتأثر القرطبى أيضا بالمبرد فى تفسير قوله تعالى:﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ فيقول[1]:واليمين فى كلام العرب قد تكون بمعنى القدرة والملك...قال الفراء، والمبرد:اليمين والقدرة، وانشدا «بيت الشماخ».

وينقل الألوسى (ت ١٢٧٠هـ) جواب اعتراض الزمخشرى السابق وهو : « أصل الكلام : فظلوا لها خاضعين ؛ فأقحمت الأعناق لبيان موضع الخضوع» ويعقب بذكرالسبب فيقول : « لأنه يتراءى قبل التأمل لظهور الخضوع فى العنق بنحو الانحناء أنه هو الخاضع ، دون صاحبه»[2].

وينقل القاضى البيضاوى (ت ٦٩١هـ) جواب اعتراض الزمخشرى فيبين الشهاب الخفاجى (ت١٠٦٩هـ) سبب جعل «أعناق» مقحمة بقوله : « ولما كان « خاضعة» لجمع من يعقل ، والأعناق ليست كذلك جعلها مقحمة» [3].

ويبينه شيخ زادة (ت ٩٥١ هـ) بقوله:« وتقرير الجواب : أن الخضوع صفة الأعناق ، وأخبر عن الأعناق بقوله :« خاضعين » ولما أقحمت الأعناق لبيان موضع الخضوع كان ينبغى أن يغير الكلام إلى خضعة وخاضعات إلا نه ترك الخبر على أصله ، للدلالة عليه »[4].

وبذلك يتبين لنا أهمية كتاب « الكامل » فى البحث البلاغى ،ولا سيما فى المجاز اللغوى، ويتبين التالى مدى ما أثاره من نشاط فكرى فى العلوم الإسلامية والعربية .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن : ١٥/ ٢٧٨.
(٢) زوح المعانى : ١٩/ ٦٠.
(٣) حاشية الشهاب الخفاجى على تفسير القاضى البيضاوى : ٧/ ٣.
(٤) حاشية محيى الدين شيخ زادة على تفسير البيضاوى : ٣/ ٤٦٥.

خاتمة

بدأت البحث . بمقدمة صدرتها بالحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ثم ذكرت أهمية بحث المجاز فى كامل المبرد، ومنهج هذا البحث.

وذكرت فى التمهيد المراد بالمجاز اللغوى ، وسبب تقسيمه إلى : مجاز مرسل ، واستعارة ،وأشرت إلى أن العرب عرفوا المجاز اللغوى فنا أدبيا قبل أن توضع له القواعد والمصطلحات ، وكذلك أشرت إلى منزلة المجاز عند عدد من علماءاللغة والبيان . ثم تكلمت ـ باختصار ـ عن نشأة المجاز قبل المبرد . عند كل من الفراء وأبى عبيدة ، والجاحظ، وابن قتيبة ، وانتهيت إلى أن المجاز اللغوى فى هذه الفترة لم تتحدد معالمه الدقيقة ؛ فلم يوضع له التعريف الجامع المانع ، أو يبين صلته بالتشبيه ، أو يقسم إلى : مجاز مرسل ، واستعارة أو تدرس العلاقة فيه والقرينة ..إلخ .

والفصل الأول: المجاز المرسل:وذكرت فيه سبب التسمية ، واختلاف العلماء فى تحديد نوع علاقاته ولكنها ترجع إلى علاقة الملابسة. ثم درست أمثلة المبرد لهذا النوع من المجاز موزعة على أنواع العلاقات التى دار عليها البحث البلاغى غالبا من : السببية ، والمسببية، واعتبار ما سيكون ، والمحلية ، والآلية ، والمجاورة ، والكلية ،والجزئية ووقفت متأنيا عند هذه العلاقة نظراً لاختلاف العلماء فى المراد بكلمة: «أعناق» من قوله تعالى :﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا

خَاضِعِينَ ﴾ .

ولما كان المبرد ذهب إلى أن لفظ « أعناق » « مقحم» فقد درست ـ بإيجاز طرفا من آراء العلماء فى القول بزيادة بعض الألفاظ فى القرآن الكريم ، أو المنع . وانتهيت إلى أن الأوْلى القول بالمنع كما هو، رأى السلف الصالح ـ رضى الله عنهم ـ لأن فيه درءاً للمشككين والمجادلين فى القرآن الكريم.

ـ وأما الاستعارة فقد بينت معناها وسبب تقسيمها ، وذكرت أن الاستعارة تكون أصلا فى المحسوسات وأنها بهذا المعنى استعارة لغوية، وعلى هذه الاستعارة اعتمد مفهوم الاستعارة بمعناها البيانى ، إذ هى تعتمد علي نقل اللفظ من المعنى الموضوع له إلى معنى آخر لعلاقة بينهما مع قرينة صارفه عن المعنى الأول.

ودرست الاستعارة بمعناها البيانى من خلال تحليل المبرد للأمثلة التى درسها في « الكامل» وذكرت أن تعريفه لها غير مانع من دخول المجاز المرسل ـ شأنه شأن العلماء السابقين ـ ولكنه أشار إلى العلاقة، والقرينة وبين أن الاستعارة جارية على منهج العرب فى كلامهم .وكانت أمثلته شاملة للاستعارة التصريحية فى الاسم الجامد، والفعل، والحرف.

وقرن المبرد فى بعض المواضع بين الحقيقة والمجاز فى استعمال الحرف ليرينا الفرق واضحا فقد مثل بقوله :«فلان على الدآبة وعلى الجبل ، وفلا ن عليه دين ، وذكر أن الحروف الجارة ينوب بعضها مناب بعض «إذا وقع الحرفان فى معنى » وهو إشارة إلى

العلاقة التى تجوز الاستعارة.

وقد أوردت ردٌّ « الشيخ سيد بن على المرصفى» على المبرد فى جعل الفعل « صرصر» استعارة فى قول جرير يرثى ابنه

« باز يُصرصِر بالسَّهبا قطا جُونَا »

فهو عنده من الحقيقة .وكما بينت وجه الخلاف، ونتيجته. ودرست من أمثلة أبى العباس ما هو من الاستعارة العنادية على سبيل التمليح أوالتطير.

- وأما المجاز المركب : فقد ذكرت مفهومه عند علماء البيان ، وأنه يسمى الأستعارة التمثيلية وأنه إذا شاع استعمالها صارت مثلا وأوردت طائفة من الأمثلة التى وردت متتابعة فى كامل المبرد لهذه الاستعارة وهى خليط من كلام القدامى والمحدثين وذلك أن أبا العباس لايتعصب - كغيره من علماء اللغة - للقدامى وبغض من شأن المحدثين. وقد وقفت متأنيا عند قوله تعالى :﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾؛ لأن المبرد حكى عن أصحاب المعانى تفسير اليمين بالقوة .فيكون المجاز فى اللفظ المفرد، الأمر الذى جعل عبد القاهر يتصدى لهم ويذكر أن هذا منهم تفسير على الجملة - أى دون إمعان نظر وتروٍّ ثم ذكر بتحليل وإسهاب أن المعنى إنما هو على المثل المفهوم من التركيب ، لا من اللفظ المفرد.

وترسم الزمخشرى خطا عبد القاهر، فى بيان هذه الاستعارة؛ ففصل ما أجمله ، وبين الغرض من هذا المثل ، وقد أوردت إجراء الشهاب الخفاجى لهذه الاستعارة .

وبنت كذلك الخلاف حول قوله تعالى : ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ وأنه من الحقيقة. أم المجاز، وانتهيت إلى أن الأولى :القول بالحقيقة، إذ لا مانع منها؛ فالأدلة من تسبيح الجبال والطير لداود ـ عليه السلام ـ وإنطاق الله الجلود على الإنسان يوم الدين ..إلخ، شاهدة بذلك وإن كان هذا لا يمنع من القول بالمجاز ، غير أن القول بالحقيقة أولى وأسلم ؛ فالله قادر على كل شئ.

وأما الأمثال: فقد درست منها طائفة تبين مسلك المبرد تجاهها؛ فهو قد يقتصر على بيان معناها، وتارة يبين معنى المثل ومضربه، أو مورده ومضربه.وقد يقرن المثل بآخر تأييداً لمعنى الأول، أو يقرن أكثر من مثلين لاتفاقهما فى المضرب . وإن من الأمثال ما يكون شعرا . ومنها الأمثال ما يمكن تحقيق مضمونها ، ومنها ما يندر مثل:« هو اعزٌّ من بيضْ الأنوق» أو يستحيل مثل: « سألتنى الأبيض العقُوق».

الفصل الثانى :بين التأثر والتأثير وفيه مبحثان :

المبحث الأول: ذكرت فيه أبرز من تأثر بهم المبرد من العلماء وهم : الفراء، وأبو عبيدة معمر بن المثنى، وأبو عبيد القاسم بن سلام، والجاحظ، وأوردت من الأمثلة ما يبين ذلك .

وفى المبحث الثانى :ذكرت طائفةممن تأثروا بالمبرد على اختلاف ثقافاتهم واتجاهاتهم العلمية كالزجاج، وعبد القاهر الجرجانى، والفخر الرازى .

وكان من العلماء من تأثروا بالمبرد تأثراً غير مباشر كالزمخشرى الذى

نقل عبارة عبد القاهر عند قوله تعالى: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾وهى فى الأصل عبارة المبرد وكان عبدالقاهرنقلها مع تصرف يسير.

وأقـــول : بعد عبـد القاهر تأثر كثيـر من العلماء بالمبـرد تأثرا غير مـبـاشـر إمـا عن طريق الزمـخـشـرى، أو الإمـام الرازى، أو القـاضى البيضاوى .

فأبو حـيان، والسـمين الحلبي يـنقلان عن الزمـخشرى، والقـرطبى ينقل عن الرازى الذى نقل عبارة المبرد.

وأما القاضى اليـيضاوى فإنه ينقل فى هذه المسألة عن الـزمخشرى بتصرف ويبين مراده.

ويجئ أصحاب الحواشى فيشرحون ما يعينهم من عبارة القاضى ، وكثيرا ما خالفـوه ، وأوردوا من الأدلة والبراهين ما يؤيد ما ذهبوا إليه . **ومن ثم** فإنهم تأثروا بالمبرد تأثرا غير مباشر.

وبذلك يبدو أهمـية كتاب « الكامـل» فى محيط الدراسات العـربية والإسلامية وبخـاصة فى ميـدان البحـث البـلاغى والمجـاز اللغوى

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل

أهم المراجع

١ـ أساس البلاغة.للزمخشري،الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥م.

٢ـ أسرار البلاغة.عبدالقاهر الجرجاني شرح وتعليق د : محمد عبدالمنعم خفاجي مكتبة القاهرة .

٣ـ أسرار البلاغة، عبدالقاهر الجرجاني .شرح وتعليق د:محمد عبدالمنعم خفاجي مكتبة القاهرة

٤ـ أماني المرتضى، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية، ط أولى ١٣٧٣ه ١٩٥٤م

٥ـ الإيضاح، بشرح الشيخ عبد المتعال الصعيدي «بغية الإيضاح» مكتبة الأداب.الطبعة السادسة١٤١٢هـ

٦ـ البحث البلاغي عند أبي على الفارسي وأثره في الدراسات البلاغية د/ فوزي١٥ السيد عبد ربه مطبعة الحسين الإسلامية ط أولى١٤١٠ه ـ١٩٨١م

٧ـ البلاغة عند المبرد في الكامل في اللغة والأدب د/ مصطفى السيد جبر.دار الطباعةالمحمدية .ط.أولى١٤١٧ه ـ١٩٩٦م

٨ ـ البيان عند الشهاب الخفاجي في كتابه: عنايةالقاضي وكفاية الراضي،القسم الثاني المجاز المرسل،د/ فريد محمد بدوي

النكلاوي ١٤٠٤هـ-١٩٨٤

٩- البيان والتبيين للجاحظ.تحقيق :عبدالسلام هارون .مكتبة الخانجي ١٣٩٥ه-١٩٧٥م

١٠- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة،شرح، السيد أحمد صقر، دارالتراث،ط،ثانية ١٣٩٣ه ١٩٧٣م

١١- تفسير أبي السعود.دار إحياء التراث العربي.بيروت

١٢- تفسير القرآن العظيم،لابن كثير،ط،دار الشعب

١٣- تفسير البحر المحيط لأبي حيان.دار الفكر بيروت،التفسير الكبير.للإمام الرازي. دار الكتب العلمية.بيروت

١٤- تفسير القاضي البيضاوي. هامش «حاشيةالشهاب الخفاجي»

١٥- تفسير التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور .الدار التونسية للنشر

١٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ،لابن جرير الطبري، مصطفى البابي الحلبي،ط،ثالثة

١٧- جمهرة أشعار العرب،لأبي زيد القرشي.تحقيق وشرح،علي محمد البخاري.دار نهضة مصر

١٨- حاشية الدسوقي.ضمن «شروح التلخيص» .دار السُّرور.بيروت

١٩ـ حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي،مؤسسة التاريخ العربي.بيروت
٢٠ـ حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي ،دار إحياء التراث العربي،بيروت
٢١ـ الحيوان.للجاحظ،ط،«الساسي»١٣٢٣ه
٢٢ـ الخصائص لابن جني.تحقيق محمد علي النجار.ط.ثانية
٢٣ـ دراسات في نقد الأدب العربي.د/ بدوي طبانة.مكتبة الأنجلوالمصرية.ط.خامسة ١٣٨٨ه ـ١٩٦٩م
٢٤ـ ديوان جرير.دار صادر بيروت
٢٥ـ ديوان الراعي الخيري.جمع وتحقيق:راينهرت فايبرت.بيروت . دارالنشر:فرانتسي شتاينز بفيسبادن ١٤٠١ه ـ١٩٨٠م
٢٦ـ ديوان ذي الرُّمة.شرح الإمام أبونصر أحمد بن حاتم الباهلي. رواية ثعلب .تحقيق د/ عبر القدوس أبوصالح ،دمشق ١٣٩٢ه ـ١٩٧٢م
٢٧ـ ديوان الشماخ.
٢٨ـ ديوان العجاج.رواية الأصمعي.تحقيق وشرح د/ عزة حسن .دار الشروق. بيروت
٢٩ـ رغبة الأمل من كتاب الكامل.سيد بن علي المرصفي.مطبعة

النهضة ١٣٤٧هـ ١٩٢٩م

٣٠- سنن أبي داود.تحقيق.محمد محيى الدين عبد الحميد.المكتبةالعصرية.بيروت

٣١- سنن ابن ماجه.

٣٢- شرح المفضل.لابن يعيش.مكتبة المتنبي بالقاهرة.

٣٣- شرح العقائد العشر الطوال .لابن الأنباري.تحقيق وتعليق عبد السلام هارون.دارز المعارف.ط.رابعة

٣٤- الشعر والشعراء.لابن قتيبة. تحقيق وشرح.أحمد محمد شاكر،دار المعارف

٣٥- عروس الأفراح.لبهاءالدين السبكي.ضمن«شروح التلخيص».

٣٦- عيون الأخبار.لابن قتيبة

٣٧- الفائق في غريب الحديث والأثر.للزمخشري.تحقيق علي محمد البجاوي،ومحمد أبو الفضل إبراهيم.عيسى البابي الحلبي.ط.ثانية.،

٣٨- الإقتضاب في شرح أدب الكتاب.لابن السِّيدالبطليوسي.تحقيق:مصطفى السقا،ود/ حامد عبد المجيد. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١م

٣٩- كتاب الأضداد عن الأصمعي.ضمن«ثلاثة كتب في الأضداد» .ط.بيروت

٤٠ـ الكشاف .للزمخشري.دار إحياء الكتب العربية.

٤١ـ مجاز القرآن.لأبي عبيدة.علق عليه:محمد فؤاد سزكين.مكتبة الخانجي

٤٢ـ المثل السائر .لأبن الاثير.تحقيق د:بدوي طبانه،ود:أحمدالحوفي .دار نهضة مصر

٤٣ـ مجالس ثعلب .شرح وتحقيق:عبدالسلام محمد هارون . دارالمعارف ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م

٤٤ـ مجمع الأمثال.للميداني. تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم.ط.عيسى البا

٤٥ـ المحرر الوحيز في تفسير الكتاب العزيز .لابن عطية الأندلسي تحقيق:عبد السلام عبد الشافي محمد.دار الكتب العلمية .بيروت

٤٦ـ مختارات شعراء التعرب.لابن الشجري، تحقيق:علي محمد البجاوي.دار نهضة مصر

٤٧ـ مطول على التلخيص.ط.تركيا ١٣٣٠هـ

٤٨ـ معا ني الحروف.للرماني.تحقيق: د:عبد الفتاح شلبي .دار نهضة مصر

٤٩ـ معاهد التنصيص على شواهد التلخيص.للعباس .تحقيق:محمد محيى الدين عبد الحميد.المكتبة التجارية الكبرى ١٣٦٧هـ-١٩٤٧م

٥٠ـ معاني القرآن الكريم.للفراء.تحقيق.د:عبدالفتاح إسماعيل شلبي.الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢م

٥١ـ معاني القرآن وإعرابه للزجاج.قحقيق د:عبدالجليل شلبي.عالم الكتب

٥٢ ـ المفضليات.للمفضل الضّبي.تحقيق وشرح:أحمد محمد شاكر، عبد السلام هارون .دار المعارف.ط.سادسة.

٥٣ ـ المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين. د:فوزي السيد عبدربه،دار الثقافة للنشر والتوزيع ١٩٨٣م

٥٤ ـ مواهب الفتاح .لابن يعقوب المغربي.ضمن(شروح التلخيص).

٥٥ـ من أسرار التعبير القرآني.حروف القرآن.د:عبدالفتاح لاشين .شركة مكتبات عكاظ.ط.أولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م

٥٦ ـ النهاية في غريب الحديث.لابن الأثير. تحقيق: محمود الطناحي. المكتبة الإسلامية.

٥٧ ـ لسان العرب.لابن منظور.ط.دار الشعب بالقاهرة.